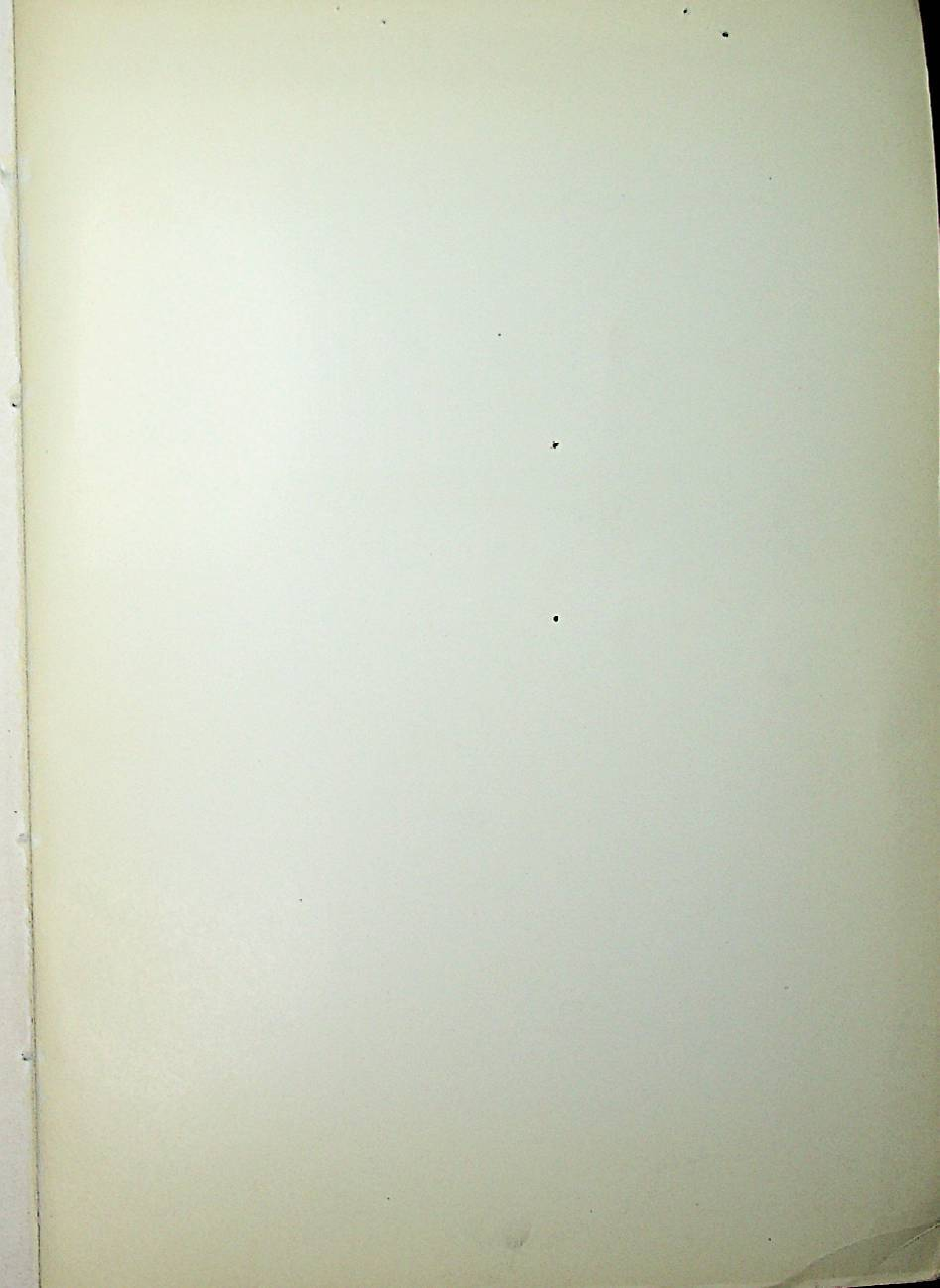


بخارى فى صدر الإسلام

الدكتـــور
محمد أحمد محمد
أستاذ التاريخ الإسلامى المساعد
بجامعتى اسيوط وقطر

الطبعة الأولى
١٤١٣هـ / ١٩٩٢م

ملتزم الطبع والنشر
دار الفكر العربي
الادارة ١١ شارع جواد حسنى
ص . ب : ١٣٠ القاهرة ت : ٣٩٢٥٥٢٣

٦١٢ محمد أحمد محمد .

م ح ب خ بخارى فى صدر الاسلام / محمد أحمد محمد . -

القاهرة: دار الفكر العربى ، ١٩٩٢ .

١٢٤ ص : خ ؛ ٢٤ سم .

ببليوجرافية : ص ١١٧ - ١٢١ .

يشتمل على ملاحق .

١- فتح بخارى . ٢ - التاريخ الإسلامى .

أ- العنوان .

مقدمـــــة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على محمد خاتم النبيين ، وبعد فهذا موضوع يعالج «بخارى فى صدر الإسلام» دعانى إلى تأليفه تلك المكانة الفريدة التى تبوأها هذا الاقليم بين سائر أقاليم آسيا الوسطى بخاصة ، وأقاليم الشرق بصفة عامة، وكان العامل الجغرافى دافعا لنهضة هذا الاقليم ، فهو الأقرب إلى خراسان ، ومنه تمتد الطرق جهة الشرق حيث سائر بلاد الترك ، ومن خلاله نفذ التجار منذ أقدم العصور يطرقون المسالك للوصول إلى الصين .. ولما نجح المسلمون الأوائل فى فتح هذا الأقليم انطلقت عقيدة الوحدانية فى ظل هذه المكانة تشق طريقها إلى أن بلغت آفاق الشرق بعد فترة من الوقت مضت على الفتح .

والحق أن العاملين «العقيدة والجغرافيا» كانا من وراء ذلك الدور الذى أسهمت به بخارى فى نشر الإسلام والحضارة الاسلامية على مدى فترة زمنية طويلة الأجل الأمر الذى يعكس لنا اهتمام الحكام المسلمين بهذا الاقليم ، ورغبة البعض منهم فى جعل بخارى حاضرة لدولته ، وبلغت بخارى فى هذا الى أبعد مدى حتى قامت بدور كبير يذكر على طريق العلاقات مع عالم الشرق قاطبة .

ويعالج موضوعنا فترة زمنية مبكرة تعكس دور التكوين لبخارى فى صدر الإسلام وتنصب الدراسة - وبالذات - على أحداث هذا الاقليم زمن كل من الراشدين وبنى أمية ، وهو موضوع لم ينل حظه من الدراسة الشاملة حتى بعد المحاولة الكبيرة التى قام بها المستشرق المجرى «ارمنيوس فاميري» ، الذى تناول تاريخ بخارى منذ قبل الاسلام وحتى عام ١٨٧٠ ، وعالج فيه تاريخ هذا الاقليم فى عصور فجر الاسلام والسامانيين والسلاجقة والاريغوريين ، والخوارزمشاهيين ، والمغول زمن الجنكيزيين والتيموريين ثم عهود الاوزبك والشيبانيين ، والاشترخانيين ، وخانات خيوه وخوقند وكاشغر وحتى عهد اسرة رومانوف .

وعلى الرغم من أن تاريخ الفترة التى نعالجها ينطوى على أحداث سياسية ، فأننى حاولت بألا تكون الدراسة غارقة فى ذكر هذه الجوانب ، دون أن أهملها - بطبيعة حال - ، فهناك منها ما يتصل بعمليات الفتح بحاجة إلى وقفات لاستلهام العبر وأيضاح الغاية .

وقسمت الموضوع إلى ثلاثة فصول ، عالجت فى الفصول الأول «بخارى قبل الفتح العربى» مبينا ما كان يحفل به هذا الاقليم من احداث سياسية واقتصادية واجتماعية والتى كان من شأنها أن مهدت للفاتحين العرب احتواء هذا الاقليم وأما الفصل الثانى فجعلته بعنوان «الفتح العربى لبخارى» ، وفيه عالجت أحداث هذا الفتح ابان عملياته المبكرة ثم اتمامه على يد قتيبة بن مسلم الباهلى ، مع رصد كل الدقائق التى استقيناها من بطون الكتب ، وعالجنا بها مواقف تتصل من قريب بتعاليم الاسلام ، وموقف الفاتحين من أعدائهم .

أما الفصل الأخير فقد جعلته بعنوان «انتشار الإسلام فى بخارى» وفيه عالجت أهم الجوانب التى اسهمت فى الدعوة الى الاسلام بين اهالى بخارى - وبالذات - استقرار العرب فى مراكز ثابتة بالنواحى البخارية ، وسياسة العرب تجاه البخاريين واثرها فى نشر هذه الدعوة .

هذا وقد أعددت خريطتين توضيحيتين ، بينت فى الأولى مسير الحملة العربية التى قادها قتيبة بن مسلم لفتح نواحى بخارى معتمدا فى ذلك على النرشخى الذى انفرد دون سائر المؤرخين بذكر بعض التفاصيل والوقائع فيما يدور حول أحداث الفتح ، أما الثانية فقد أوضحت فيها مدن ذلك الاقليم فى صدر الاسلام من خلال اعتمادى على ما أورده الأصطخرى - الذى عاصر النصف الثانى من القرن الثالث الهجرى - فى كتابه مسالك الممالك .

هذا وأقدم هذا العمل الى المعنيين بتاريخ الإسلام وحضارته ، وما توفيقى إلا بالله ، عليه توكلت ، وإليه انيب .

محمد أحمد محمد

الفصل الأول

بخارى قبل الفتح العربى

الفصل الأول
بخارى قبل الفتح العربي

بخارى ، الموقع والبيئة ،

كانت بخارى تحتل مكانة جغرافية جديرة بالاهتمام في نظر العرب الفاتحين لقربها من خراسان ، فيصفها الأصطخرى (١) بأنها أول الكور في بلاد ماوراء النهر ، "فمن كان بها فخراسان أمامه ، وماوراء النهر وراءه "(٢)، ويحسبها أبو الحسن النيسابوري في كتابه " خزائن العلوم " بأنها من جملة مدن خراسان(٣) على الرغم من أن جيحون يقع بينهما (٤) ، لذلك فالجند العرب الذين فتحوا خراسان زمن الراشدين (٥) نظروا إلى بخارى لقربها منهم وكونها بابا جديداً ينبغي اجتيازه للوصول إلى عالم جديد لنشر الإسلام فيه .

وعرف عن بخارى بأنها احدى قصبتي الصغد باقليم ماوراء النهر ، ويشير "لسترنج"(٦) إلى الصغد بأنه كان يمثله مدينتان كبيرتان اولاهما بخارى عاصمته الدينية، وثانيتهما سمرقند مركزه السياسى ، ويحدثنا المقدسي(٧) عن الجيهاني بأن الصغد كصورة إنسان رأسه بنجكت (٨) ، وطوله ستة وثلاثون فرسخا وعرضه ستة وأربعون فرسخا ، ومنبره سمرقند ثم كش ثم نسف ثم الكشانية ، وكلها نواحى يحسبها كل من ابن خرذذابه (٩) والمقدسي (١٠) من نواحى سمرقند ، في حين أنها لم ترد بالثبت الذي أفرده النرشخي(١١) لمدن وقرى بخارى ، ويظهر أن تبعية بخارى للصغد ترجع إلى أن نهر الصغد ينتهى إلى بخارى (١٢) ، غير أن ارتباط سمرقند ببخارى معروف منذ القدم وتؤيده الجغرافيا ويدعمه التخطيط (١٣) الهندسي لكل من المدينتين فضلا عن الطرق والدروب التي تربط بينهما (١٤) ، مما ينهض دليلا على أن اجتياز بخارى يؤدي بالضرورة إلى استطلاع مشارف سمرقند الأمر الذي يزيد من أهمية بخارى في نظر الفاتحين العرب بطبيعة الحال .

أما التعريف العربي " بلاد ماوراء النهر " الذي أخرجه الجغرافيون فيقصد به

زمن القرن السابع الميلادي البلاد الواقعة فيما وراء نهر جيحون وعند شاطئه الأيمن، غير أن مدلوله سرعان ما توسع بحيث شمل عند البلخي قسما من الشاطىء الأيسر بحوض النهر الأعلى " سيحون " الأمر الذي يشير إلى اعتبار اجزاء مثل طخارستان والطلقان مكملة لبخارى منذ عهد السامانيين (١٥).

وتقع بخارى على شاطىء نهر زرفشان (نهر الصغد) ، ونستدل من اشارات الأصطخرى (١٦) أنها تقع على نهاية هذا النهر ، حيث يجرى في اجزاء كثيرة منها وبالذات الربض والاسواق .

أما انشاء بخارى فيشير ابو الحسن عبد الرحن النيسابوري في كتاب خزائن العلوم أن الثلوج التي كانت تذوب بالجبال بناحية سمرقند كونت الماء الكثير إلى جانب ماء آخر كثير كان يأتى من نهر بنفس الناحية ، وظل هذا الماء الكثير يحمل الطمى إلى ناحية " بتك " و " فتك " ، (١٧)، إلى أن طمر ذلك الموضع الذي يقال له بخارى حيث تمهدت الأرض ، " وأصبح ذلك النهر العظيم الصغد " (١٨)، ومما قيل أن الناس تدفقوا على ذلك المكان من ناحية التركستان (١٩) .وتكونت بمرور الوقت حول هذا الموضع الهام مجموعة من الرساتيق (٢٠)، وظهرت المدينة بعد ذلك تبعا للتطور السياسي الذي طرأ على تلك المنطقة ، ويذكر العلامة الايراني سعيد نفيسي(٢١) أن مدينة بخارى ترجع من حيث النشأة إلى ماقبل الإسلام بقرون عدة مبينا أنه في القرن الرابع قبل الميلاد بنى الاسكندر المقدوني مدينة مركندا (Marakanda) حينما قصد الصغد ، وأنه لايستبعد أن تكون المدينة الثانية التي لم يذكرها بطليموس على جانب نهر الصغد هي مدينة بخارى (٢٢) .

وأورد النيسابورى مايفيد بأن أهم الرساتيق التي تجمعت حول الموضع الذي عرف ببخارى كان مقرا لأمير هذه الرساتيق ، الذي كان يعرف باسم بيكند (٢٣)، وقيل أن هذا الأمير قد سلك سياسة غاشمة وأرغم الأغنياء على الفرار إلى المواضع المجاورة من التركستان ، حيث بنوا مدينة في منطقة طراز وأسموها حموكت (٢٤)، نسبة إلى حموك كبير الفلاحين رئيس هذه الطائفة (٢٥) ، وكان أن توجه كبار رجاله من الدهاقين (٢٦) إلى " فراجورين " ملك الترك - الذي كان يلقب بياغو(٢٧) -

طالبين النجدة ، فأمدهم بجيش تحت إمرة ابنه" شيركشور " (٢٨)، وانتهى الأمر بأن قبض هذا الأخير على " إيروى " ملك بيكند ، وسرعان ما طلب "شيركشور" بخارى من أبيه ، وأرسل في حضور الذين هربوا إلى " حموكت " ، واعدا اياهم بمكانة رفيعة ، نعرف منذ ذلك الوقت أن " شيركشور" قد عمر مدينة بخارى حيث حكم عشرين سنة ، وبنى حولها قرى " حماستين " و" سقمتين " و " فرب " (٢٩)، وبنى خليفته من بعده قرى " اسكجكت " و"راميثن" و " شرغ " ، و "فرخشى " ، وصارت هذه القرى فيما بعد مدنا عامرة من توابع بخارى (٣٠).

وتتميز مدينة بخارى دون سائر مدن ماوراء النهر بهوائها الجاف المتقلب لقربها من المناطق الجبلية ، شتاؤها طويل بارد ، وربيعها ممطر ، وصيفها حار جاف ، وخريفها يتميز بالنشاط ، والمناطق الرملية المحيطة بها ذات هواء ساخن وشتاء لفترة قصيرة ، الأمر الذي جعل الناس ينتقلون إلى السهول والوديان القريبة التي تتوسطها المدينة نفسها بمساحة قدرها مائتان وسبعون الف جريب مربع (٣١) ، ويعتبر الجزء الشمالي منها أخصب بقاعها لاحتوائه على واد خصيب يؤدى إلى سمرقند (٣٢).

ويتضح لنا من اشارات الجغرافيين أن نهر الصغد قد ميز الجهة الشرقية من بخارى ، بحيث صارت أخصب مناطق بخارى ، مما جعل تلك المنطقة منذ القدم مركزا رئيسيا للزراعة(٣٣) ، في حين يجاورها من الغرب صحراء خوارزم ، ومن الجنوب منطقة جبلية يجاورها من الشرق وادى الصغانيان (٣٤)، وقد ذكر بطليموس في كتاب الملحمة أن بخارى من جملة الاقليم الخامس ، ويبلغ طولها سبعة وثمانين درجة ، وعرضها احدى وأربعين درجة (٣٥).

الحياة الاقتصادية في بخارى قبل الفتح العربي :

عرفت بخارى منذ القدم بأهميتها الاقتصادية ، فعلى الرغم من الجبال والمناطق الرملية التي تحيط بها ، فإن نهر الصغد كان وراء خصوبة أراضيها (٣٦) ، وأفرد النرشخي (٣٧) فصلا في كتابه " تاريخ بخارى " لأنهار بخارى ، مبينا أنها أنهار من صنع الناس ، ويرجع تاريخها إلى ما قبل الفتح العربي (٣٨) ، كما كان هناك في

بخارى بحيرة عذبة كان البخاريون يستخدمونها في الزراعة (٣٩) ، وكانت هذه الروافد المائية الداخلية تروى الزروع ، وتربط بين مدن وقرى بخارى (٤٠) ، كما كان يتفرع من نهر الصغد عدة أنهار ، وفي ذلك يذكر الأصطخرى (٤١) «ويتشعب من عمود نهر الصغد في حد بخارى خارجا عن القصبة من الحائط الخارج بناحية الطواويس(٤٢) إلى أن ينتهى إلى باب المدينة أنهار كثيرة تتفرق في القرى والمزارع في الحائط ، وعليها عمارة قرى بخارى ، ومنها نهر يعرف بسافرى كام يأخذ من النهر(٤٣) فيسقى القرى حتى ينتهى إلى وردانة (٤٤) ، وعليه شربهم ...».

وكان طبيعيا أن تكثر البساتين حول بخارى،واستقى ياقوت الحموى معلومات عن سابقيه من الجغرافيين مايذهب بصحة ذلك ، ومن اشاراته في هذا الشأن مانصه (وقال صاحب كتاب الصور ، وأما نزهة بلاد ماوراء النهر ، فإني لم أر ولابلغني في الإسلام بلدا أحسن خارجا من بخارى لأنك إذا علوت قهندرها (٤٥) ، لم يقع بصرك من جميع النواحي إلا على خضرة متصلة خضرتها بخضرة السماء ، فكأن السماء بها مكبة خضراء مكبوبة على بساط أخضر ، تلوح القصور فيما بينها كالنواوير فيها ، واراضى ضياعهم منعوتة بالاستواء كالمرآة ...) (٤٦).

وكان إذا فاض نهر الصغد في فصل الصيف ينشط البخاريون لتحويل مايفيض به بحيث يستخدم في زراعة الاراضي عند بيكند (٤٧)، وأحيانا كان هذا المكان المنقلب إلى بيكند يزيد عن الحد اللازم للرى ، فيغرق الضياع في الصيف مما يعوق على الناس حياتهم (٤٨) ، ومهما يكن من أمر فإن فصل الصيف في الجانب الشرقي حيث السهول والوديان يمثل بالنسبة لأهالى بخارى موسما يعود كثيرا بالنفع عليهم ، إذ ينتقل هؤلاء من سائر الجهات حول بخارى حينئذ إلى تلك الأماكن تاركين الصحارى القاسية (٤٩) الأمر الذي يعكس لنا ذلك العمران الذي كثيرا ما يشتد في الصيف في النواحي مابين بخارى وسمرقند (٥٠).

وانفردت بخارى ببعض الحاصلات الزراعية ، - وبالذات القطن - (٥١) ، فضلا عن الفواكه التي انتشرت بمزارع القرى التي تطل على نهر الصغد (٥٢).

ويذكر الاصطخرى(٥٣) أن (فواكه بخارى أصح فواكه ماوراء النهر وألذها طعما)، ومزارع القصب (٥٤) واشجار الغابات (٥٥).

وكان من الطبيعي أن تزدهر الصناعة في بخارى لتوافر المواد المحلية اللازمة لقيامها . وهكذا اشتهرت بخارى بصناعة المنسوجات القطنية (٥٦) ، وتطورت صناعة المنسوجات فيها بحيث صار من اليسير صنع الأقمشة الصوفية (٥٧)، واشتهر البخاريون منذ القدم بصناعة نوع من النسيج يعرف باسم " كرباس" " وزندنيجى " نسبة إلى قرية زندنيجى احدى قرى بخارى ، ومما قيل أنه كان ببخارى عند قدوم العرب صناع متخصصون في صنع ذلك النوع من المنسوجات(٥٨).

كذلك انتجت بخارى بعض الصناعات الخشبية (٥٩) ، والغذائية وبالذات صناعة الزيوت (٦٠)، وإذا أضفنا إلى ذلك كله قرب بخارى من الأماكن العامرة بالمعادن (٦١) ، ندرك ما لهذا الاقليم من أهمية اقتصادية ، ويذكرنا المستشرق المجرى " فامبرى " بهذه الأهمية بقوله " وحين شق العرب من بعد ذلك طريقهم عبر جيحون ، وجدوا هناك نشاطا صناعيا وزراعيا مهما ...) (٦٢).

أما التجارة ، فقد أخذت حظا كبيرا من عناية الأهالي في بخارى حيث نشطت التجارة الداخلية وكان مركز هذا النوع من التجارة الأسواق ، ولنضرب أمثلة مما امدنا به النرشخي حول الاسواق في بخارى قبل الفتح العربي ، من ذلك سوق " شرغ " الذي كان " في القديم " ملتقى أهالى الولايات البعيدة خلال عشرة أيام من شتاء كل عام(٦٣) ، وسوق " وردانة " الذي كان يقام (منذ القدم) يوما في كل اسبوع(٦٤) ، وكانت التجارة فيه رائجة ، وسوق أفشنة (٦٥) الذي كان الأهالي يحرصون على اقامته يوما في كل اسبوع ، وظل على تلك الحال بعد دخول العرب هذه الناحية(٦٦)، وكانت الاسواق على هذا النحو تسهم في اندماج أهالى القرى حيث كان من اليسير عليهم أن يهرعوا من سائر المدن ليلتقوا جميعا في سوق واحد الأمر الذي كان من شأنه أن يربط بين البخاريين (٦٧) ، بحيث صار يعول على العامل التجاري أملا في الوصول إلى الوحدة بين سائر الجهات حول بخارى .

ولايخفى علينا أهمية الطرق البرية (٦٨) والنهرية (٦٩) التي يسرت على

التجار طريق الوصول إلى المدن والقرى البخارية ذات الأسواق .

وكان لأهالي بخارى نشاط ملحوظ في مجال التجارة الخارجية، ومن الثابت أن الاتصال التجاري بين بخارى والصين كان معروفا منذ القدم ، وتؤكد المصادر البيزنطية أن أهل بخارى كانوا في القرنين الخامس والسادس الميلاديين يسيرون بقوافل الحرير عبر الاراضي الساسانية إلى اراضي الامبراطورية الرومانية (٧٠) وكان ابناء آسيا الوسطى - وبالذات - بخارى يقومون بدور الوساطة بين الصين والدولة الرومانية في مجال تجارة الحرير وجلبوا من وراء ذلك أموالا طائلة . وأورد النرشخي(٧١) عن تجار بيكند احدى مدن بخارى مانصه (وكان أهل بيكند جميعا تجارا يتجرون مع الصين ويركبون البحر وكانوا أغنياء جدا ...) .

وكان الرواج التجاري في بخارى على هذا النحو يعوض الناس عما أصابهم من أضرار بفعل العوامل المعيشية . فكان الاهالي يمارسون البيع والشراء في القرى ومدن بخارى وسط الشتاء (٧٢) كما اعتادوا منذ القدم أن يخصصوا عشرة أيام في فصل الخريف لبيع السلع المعيبة من رقيق ودواب وغير ذلك (٧٣).

وقد نشطت بطبيعة الحال حركة الصادر والوارد من وإلى مدن وقرى بخارى، ويحدثنا الاصطخري (٧٤) انه كان (يرتفع من بخارى ونواحيها من ثياب القطن ماينقل إلى الآفاق) ، كما كان أهل بخارى يصدرون نوعا من الثياب الرخوة والبسط (٧٥) ، وكان الكرباس ينقل من بخارى إلى العراق وفارس وكرمان (٧٦) ، والشام ومصر والامبراطورية الرومانية (٧٧) .

ونستخلص من كلام الاصطخري أن الرقيق كان يحمل من بخارى إلى أنحاء الصغد واشروسنة (٧٨) وفرغانة (٧٩) والشاش (٨٠) ، فيذكر أنه كان ينقل إلى هذه النواحي من (الاتراك المحيطة بهم مايفضل عن كفايتهم وينقل إلى الآفاق من بلادهم ، وهو خير رقيق يحيط بالمشرق كله) (٨١) ، وكان لمدينة طوايسه البخارية دور ملموس في هذا الميدان (٨٢) .

وأسهم الرواج التجاري في بخارى ونواحيها في خلق طبقة من التجار(٨٣) ، ويذكر النرشخي عن آل كشكثة بما يفيد أنهم جاءوا إلى بخارى من خارجها حيث

استوطنوا واشتغلوا بالتجارة ، وظهروا على أثر ذلك قبل قدوم العرب المسلمين في تلك النواحي حيث استطالوا في البنيان من وراء ثرائهم ، وكانوا (ذوو حرمة وقدر ومنزلة ، وكان لهم بين أهل بخارى شرف كبير ...)(٨٤).

الحياة الاجتماعية في بخارى قبل الفتح العربي :

كان يقطن بخارى عند قدوم الفاتحين العرب عناصر سكانية متعددة ايرانية وتركية وصينية ومغولية ، وتشير المراجع الفارسية على أن التركيب الاجتماعي في بخارى قبل الاسلام كان يختلف عما كان في بقية مدن ماوراء النهر ، فيغلب عليها العنصر الآري (٨٥) ، وقيل ان بخارى من أقدم المدن التي استقر بها الآريون (٨٦) ، ومن الثابت أن هناك مدنا ايرانية في آسيا الوسطى أرسى قواعدها الايرانيون إلى ماقبل عصر الدولة الأكمينية (٥٥٠ ق. م - ٣٣٠ ق.م) (٨٧) ، وسرعان ما تعرضت بخارى لغزو الاسكندر ثم صارت جزءا من دولة الباخذنيين (بلخ) (٨٨) ولما قدمت جماعات من الترك اقليم ماوراء النهر في القرن السادس الميلادي واستولوا على المدن الايرانية نزل عدد منهم بخارى حيث استقروا فغلب عليها الطابع التركى (٨٩).

ويركز عطا ملك الجوينى في " تاريخ جهانكشاى " على غلبة العنصر التركي الذي ساد بخارى قبيل الفتح العربي(٩٠)، غير أن الطابع الايراني ظل سائدا ، ويظهر أن الاصطخرى(٩١) قد وقف حائرا ازاء طغيان ذلك الطابع على الرغم من التمركز التركي المستبد بتلك النواحي قبيل ظهور الإسلام الأمر الذي جعله يعتقد أن أهل بخارى يعودون من حيث الأصل إلى تلك الجماعات الايرانية التي قدمت بخارى من اصطخر (٩٢) ، وهناك اشارات في المصادر ترجع نشأة اصطخر إلى ما قبل القرن الرابع قبل الميلاد ، وهو نفس التاريخ تقريبا الذي يؤرخ به المؤرخون الايرانيون المحدثون لظهور الجماعات الايرانية حيث كان العنصر الآرى (٩٣) ، وكان للطابع الايراني اثره البالغ في الحياة الثقافية في بخارى على مر العصور الإسلامية المتلاحقه(٩٤).

كما ظهر الصينيون في بخارى في القرن السابع الميلادي ، إذ استولوا عليها ،

واتخذوا فيها مراكز ثابتة (٩٥).

وعلى كل حال فإن آثار أورخون التي تعتبر من أهم المصادر في الكشف عن فجر تاريخ الترك في آسيا الوسطى ، تؤكد أنه في النصف الأخير من القرن السادس الميلادي واوائل السابع ظهر شعب جديد في بلاد ما وراء النهر ، وأن هذا الشعب اتخذ للمرة الأولى في تاريخ هذا الاقليم اسم الترك (٩٦) ، ومما يدعو إلى الدهشة أن النقوش الصينية تؤيد ماورد في آثار أورخون في شأن ظهور العنصر التركي في تلك النواحي ،كما يؤيدها بنفس القدر النقوش البيزنطية (٩٧) ، وكان من الطبيعي أن ينهض الترك نحو توطيد نفوذهم في موطنهم الجديد ، فانفصلوا على مر فترة زمنية قصيرة الأجل عن الاتراك الشرقيين(٩٨) ، حيث انشأوا في بلاد ماوراء النهر سلسلة من الامارات المستقلة.

واتخذت الحياة الاجتماعية في بخارى قبيل الإسلام مظاهر خاصة ، ذلك أن تلك الفترة الزمنية تعكس حياة البداوة التي استمسك بها الترك حينئذ (٩٩) ؛ كما ساد المجتمع التركي التقاليد والاعراف القبلية ، وهناك من الآراء مايذهب إلى القول بأنه كان في بخارى في ذلك الوقت تسعون أسرة تخضع لهذه الأحكام (١٠٠) ، وتظهر تلك التقاليد بطبيعة الحال في المناطق الجبلية والرملية في بعض نواحي بخارى ، الأمر الذي يفسر لنا ظاهرة العنف عند الاتراك ، وتصف المصادر الترك في تلك النواحي بأن بأسهم شديد وشوكتهم لانظير لها (١٠١) ، ورماة مهرة (١٠٢) ، الأمر الذي اسهم في خلق انطلاقة جهادية تركية في ظل الإسلام (١٠٣).

أما طابع البداوة الذي ميز المجتمع التركي في نواحي بخارى فيرجع إلى ماقبل ظهور بخارى حينما كان الناس في البداية يعيشون في الخيام ثم بنوا المنازل في جهات عديدة صارت فيما بعد من جملة مدن بخارى في ظل الإسلام (١٠٤).

والأمر الجدير بالإشارة أن النمط القبلي لم يكن - في رأينا - مؤديا إلى ظهور بخارى ككيان سياسي ، مع تسليمنا تماما بوجود التقاليد القبلية وتمسك الشعب التركي بها حتي بعد دخول العرب المسلمين بلاد ماوراء النهر ، فهناك عوامل أخرى اقتصادية اسهمت بطبيعة الحال في خلق ذلك الكيان السياسي الذي يحركه دوافع

اجتماعية بالغة الخطورة كان لها أثر لايغفل على المستقبل السياسي والديني لتلك الجهات ، فإلى جانب المناخ غير الملائم بالصحارى والجبال التي تجاور بخارى في بعض النواحي (١٠٥) هناك مناطق أخرى لايمكن انكارها في الجهات الشرقية من بخارى تشغلها الوديان والسهول (١٠٦) ، وهي مناطق صالحة للزراعة ، فضلا عن الرواج التجاري الكبير والنزعة التجارية التي غلبت على عقول البشر بجهات كثيرة من بخارى(١٠٧)، وهذه العوامل تقلص تماما النمط القبلي مع الحفاظ على هامشية قبلية لاتسهم بالضرورة في خلق كيان سياسي مثل بخارى ، ونستخلص من اشارات النرشخي (١٠٨) التي أوردها نقلا عن أبي الحسن عبد الرحمن النيسابوري أن العمل الجماعي في اطار التحالف يعد أمرا ذا بال في شأن ظهور اي كيان سياسي ، وأمامنا ظاهرتان متمايزتان جديرتان بالاعتبار أولاهما تبرهن على أن العمل الجماعي الذي اثبته المزارعون في الجهات الشرقية من اقليم بخارى قد أسهم اسهاما كبيراً في بلوغ ذلك الاقليم أوج شهرته ، بل إن الأمر لايدعو إلى الدهشة إذا قلنا أن هذا الدافع كان سببا في تشكيل التركيب الاجتماعي في تلك الجهات ، وثانيتهما أن " شيركشور" نفسه الذي ذكره النيسابوري لم يحظ بولاية بخارى إلا بدافع التحالف الذي تم بين الدهاقين وأصحاب الأراضي وملك الترك " افراجورين " لتقليص نفوذ أمير بيكند ، ولما نجحت الخطة منح " فراجورين " - هذا - بخارى إلى ابنه" شيركشور" (١٠٩)، فأوفد هذا الأخير في استحضار هؤلاء الاغنياء الذين لاذوا بالتركستان ، وسرعان ما انتهى الأمر بعودتهم بزعامة " بخاراخدات " (١١٠) ، ودخول الفقراء في خدمته ، وكان أكثرهم من خدمه وعبيده على حد قول النيسابوري (١١١).

ومما يجدر ذكره أن تلك الظروف الموضوعية التي اسلفنا الإشارة إليها أفرزت ظاهرة اجتماعية تنطوى على فجوة عميقة بين الدهاقين الذين كانوا يمثلون أرستقراطية زراعية مسيطرة ، ويرتبط بهم التجار ارتباطا كاملا،وبين العامة ، وحفلت الارستقراطية الزراعية بمكاسبها ، فحالف ابناؤها الصينيين - الذين دخلوا بخارى قبل قدوم العرب إليها - حفاظا على مصالحهم ، وعرف عن الدهاقين في بلاد ماوراء النهر أنهم استغلوا الولاء للصين في كبح الحركات الشعبية ، وتثبيت سلطانهم وانشاء

امارات تركية مستقلة (١١٢).

ونستدل من المصادر أن الدهاقين في نواحي بخارى كانوا يحتلون مكانة اجتماعية لانظير لها في اقاليم ما وراء النهر ، فكان هؤلاء من كبار ملاك الأراضي على مر فترة زمنية طويلة ، وكان أغلب شعب بخارى مزارعيهم وخدمهم (١١٣) ، وكان يربطهم بالصين روابط اجتماعية بلغت حد المصاهرة مما أسهم في تثبيت أقدامهم في بخارى (١١٤) ، وكان الدهاقين الذين خضعوا في بخارى لبيدون بخار خدات يورثون أبناءهم تلك المكانة فهذه زوجة بيدون المعروفة " بالخاتون " تصل إلى عرش بخارى ، وتظل عليه مدة خمسة عشر عاما حيث كانت تملك اكثر الضياع ، وكان من عادتها أن تخرج كل يوم من حصن بخارى على ظهر جوادها ، حيث تقف على احد ابوابه ، فتجلس على تخت (وأمامها الغلمان والخصيان والاشراف والحشم)(١١٥) ، وكان يقوم على حراستها كل يوم مائتا شاب يتمنطقون بالذهب ، ومعهم سيوفهم الذهبية (١١٦) ، وكانوا يستبدلون بغيرهم في كل يوم ، وهذا طغشادة ابنها الذي جاء من بعدها كان يمتلك الضياع ، ويعطى كلا من أولاده واصهاره حصة منها(١١٧).

ونستخلص من كتابات الطبرى (١١٨) مايفيد بأن ملوك بخارى الذين تبوأوا حكم بخارى من ملاك الأراضي كانوا يقتنون المعادن النفيسة فضلا عما كان في حوزتهم من الذهب والفضة (مما لايحصى).

وكان أبناء الأسرة الحاكمة في بخارى يهتمون بالقلاع والقصور ، وتعكس هذه المنشآت المكانة الرفيعة التي كانت تميز هذه الأسرة ، ويفهم من كلام الأصطخري أن بناء القصور في بخارى ونواحيها كان عادة بحيث صار من السهل انتشار مثل هذا النوع من العمارة وسط البساتين بمحاذاة الانهار التي كانت تربط إذ ذاك بين نواحي بخارى (١١٩).

أما القصر الرئيسي؛ فكان يعرف بقصر المدينة (١٢٠) ، وكان يضم في داخله مقرا للأسرة الحاكمة عرف عند النرشخي بالقصر الملكي (١٢١) ، وقيل أن هذا القصر تهدم بعد أن بناه " بيدون بخار خداة " ، فأعيد بناؤه ثم انهدم وهكذا مرارا حتى

استجمع الحكماء أمرهم . (وصار الاتفاق على أن يبنى هذا القصر على سبعة عمد حجرية على شكل بنات نعش (١٢٢) التي في السماء فلم يهدم على تلك الصورة...)(١٢٣) ، وكانت تلك الفترة الزمنية لاتخلو من الاسطورة ، ومن ذلك أن القلعة - وهي القصر الكبير - استقامت ، ولم يهاجمها ملك من بعد اقامة هذه الأساطين الحجرية السبعة إلا وهلك عند أسوارها ، بل لم ينهزم فيه ملك ، ولم يمت فيه أحد - أيضا - من الملوك (١٢٤).

وكان ذلك القصر الكبير اشبه بقلعة محصنة منذ أن بناها سياوش بن كيكاوس في بخارى ، فضلا عن أهميته الدينية ، وكان في داخله إلى جانب القصر الملكي ، الدواوين المالية وبيت الحريم والسجن والخزانة (١٢٥).

وبلغت مكانة ملك بخارى قبل الاسلام حدا كبيرا بحيث صار من اليسير على بخاراخدات الذيوع والانتشار على مادونه من ملوك ماوراء النهر ، وهكذا عرفت بخارى عند المؤرخين الايرانيين المحدثين الذين أرخوا لتلك الفترة بأنها مستقر ملك الشرق.

ومن الملاحظ أن أمراء بخارى كانوا يقطنون ضاحية القصر (١٢٦) التي كانت تضم - أيضا - قصرا يخص الأمراء والدهاقين (١٢٧)، الأمر الذي يؤكد أن طبقة كبار الملاك من الدهاقين النبلاء - والتي يعود إليها من حيث الأصل والنشأة الأسرة الحاكمة في اقليم بخارى - قد لازمت الأمراء ، وجاورت أماكن استقرارهم في داخل بخارى ، وكان الملوك في بخارى يحفلون باماكن النزهة فيرتادونها في فصل الشتاء ، وكانت راميشن من نواحي بخارى ملتقى ابناء الأسرة الحاكمة في هذه الفترات(١٢٨).

أما المدينة نفسها (١٢٩) فكان يحيط بها سور محكم تتوسطه قلعة بخارى، وكانت من حيث التصميم تميل إلى الشكل المربع (١٣٠) كما كان لهذه المدينة سبع بوابات حديدية (١٣١)، في حين كان للقلعة بابان (١٣٢) ، وللضاحية عشرة مداخل (١٣٣) ، وكان للدهاقين والامراء بهذه الأقسام الرئيسية الثلاثة في بخارى مراكز ثابتة ، على أن القلعة انفردت بسكنى الأسرة الحاكمة .

وكان للأسرة الحاكمة في بخارى صلات معروفة بآل ساسان ، وكانوا يعاملونهم بماينطوى على الود ، وعرف عن بخارا خداة أنه كان يفيض كرما إذا ما قدم عليه أحد من أبناء كسرى ، وكثيرا ما كان يجزل عطاءه عليه ، ويحكى عنه أنه استقبل في بلاطه من بين هؤلاء " شابور " وأقطعه مكانا حيث حفر فيه نهرا عظيما وأسماه باسمه " شابور كام " (١٣٤).

ولم يخف بخارا خداة اعجابه بشابور وظل حاميا له ، الأمر الذي كان من شأن هذا الأخير أن تطاول في البنيان ، وهكذا أقام على ذلك النهر قصرا ورساتيق وقرية وردانه ، وجعل لنفسه مقرا ، وظل مقيما بذلك المكان حتى توارثه ابناؤه من بعده ، غير أنه سرعان ما دبت الوقيعة فيما بعد بين طغشادة حاكم بخارى وبين وردان خداة ابن شابور زعيم طائفة الفرس في بخارى ، وأفاد العرب من ذلك كثيرا عند قدومهم بخارى(١٣٥).

والحق أن ما أسلفناه يعكس تفككا سياسيا في بخارى قبيل قدوم العرب لفتح هذه النواحي ، كما أن الترابط الاجتماعي بين الدهاقين والامراء الذي لمسناه فيما اسلفناه لايتبعه بالضرورة ترابط سياسي بين هاتين الفئتين ، ذلك أن الصراع الداخلي كان قد غلب على ديار الأتراك ، وألقى بها في هوة من الفوضى وعرف ذلك التفكك السياسي بين الدهاقين والأمراء بشكل عام في بلاد الترك (١٣٦).

الحياة الثقافية في بخارى قبل الفتح العربي :

مما لاشك فيه أن الظروف البيئية والسياسية أسهمت في إبراز نشاط ثقافي في اقليم بخارى ، فالحياة الثقافية تعكس التطورات السياسية التي شهدتها بخارى ، فضلا عما تنطوي عليه من آثار افرزتها العوامل الجغرافية ، فالشعب التركي في بخارى بحكم موقعه كان يستقبل تيارين ثقافيين ، أولهما - وفق التسلسل الزمني ومدى تأثير العامل البيئي - تيار وافد من ايران ، وثانيهما ، من الصين ، وكان لهذين التيارين أثر بالغ التأثير في تطور الحياتين الثقافية والدينية في اقليم بخارى .

كان طبيعيا أن يكون لغلبة العنصر الآري على بخارى منذ القدم (١٣٧)، أثر

فعال في رواج اللغة الفارسية وانتشار العادات الايرانية ، وأورد الأصطخرى (١٣٨) ما يفيد أن اللغة الفارسية قد راجت في بخارى قبل الإسلام لكن بلغة تختلف عن لغة الصغد ، حيث تفاوتت قليلا لقيام شعب بخارى بتحريف بعض الكلمات ، أما أزيازهم فكان يغلب عليها - أيضا - الطابع الايراني السائد في بلاد ماوراء النهر، فاعتادوا على استخدام الأقبية والقلانس (١٣٩).

وواكب ظهور العنصر التركي في بخارى منذ القرن السادس الميلادي ظهور لهجة تركية بخارية إلى جانب اللغة الفارسية (١٤٠) لكن الآداب والرسوم الايرانية ظلت غالبة في بخارى ، وأقبل عليها الشعب البخارى ، ويلمس المؤرخون الفرس وجود هذه الظاهرة حتى وقتنا الحاضر (١٤١).

ويتجلى اثر العامل الجغرافي فيما انطوت عليه الحياة الثقافية في بخارى من مؤثرات دينية وافدة بدافع من النفوذ الايراني ثم الصينى ، فالديانة الزرادشتية في بخارى تعكس اثرا ايرانيا واضحا في حياة الناس ، فيذكر النرشخي (١٤٢) أن رجال الدين الزرادشت (مغان) كانوا يحترمون قلعة بخارى تخليدا " لسياوش " ابن الملك الاسطوري كيكاوس ملك ايران ، حيث فر من والده وعبر نهر جيحون ولقى ترحيبا من أفراسياب ملك الترك الذي رحب به وزوجه ابنته وأعطاه مملكته ، وطالبه بتخليد شيء، فأنشأ له هذه القلعة ، وظل بها إلى أن دفن فيها بعد مقتله بتدبير من أخى أفراسياب.

ومما قيل أن لأهل بخارى في ذكرى مقتل " سياوش " يوم حزن شديد ، فينشدون أناشيد الحزن ، واتخذ الشعب البخارى في سائر قرى ومدن بخارى من ذلك موسما صار معمولا به في كافة قرى ومدن بخارى ، وعرفت هذه النياحات (بنواح المجوس)(١٤٣) ، وقيل أنه بسبب اجلال المجوس لهذه الذكرى كان كل رجل ينحر عند القلعة تخليدا لهذه الذكرى ديكا ضمن مايقدمه من نذورات قبل (طلوع شمس النوروز)(١٤٤).

وكانت المجالس الاجتماعية التي أقدم عليها ملوك بخارى قبل الاسلام تنطوى على نزعة زرادشتية ، فكانت خاتون زوجة بيدون بخارا خداة تعتاد على الخروج كل

يوم من حصن بخارى إلى أن تصل إلى باب المعبد (ريكستان) حيث يعقد مجلس اجتماعي يشارك فيه الغلمان والخصيان والاشراف والحشم ، وعند الفراغ من المجلس تقف الخاتون أمام نفس الباب ، (فتخلع على من تريد وتعاقب من تريد ...) ، وعند المساء توالي الخاتون عقد المجلس على باب المعبد من غروب الشمس ، وهكذا تتكرر الظاهرة في اليوم التالي (١٤٥).

وانتشرت - بطبيعة الحال - بيوت النار في بخارى وقراها(١٤٦) ، وكان البخاريون يوقدون النيران على ماجرت به العادة منذ القدم قبل بدء كل عام جديد وحلول الربيع(١٤٧) ويحكى عن آل كشكثة من المجوس ، أنهم كانوا ينشرون بيوت النار في بخارى ، ولما قدم العرب نقلوها إلى خارج المدينة (١٤٨).

ويذكر الجويني (١٤٩) أنه كان يوجد ببخارى معابد للبوذية ، وأورد ما يفيد أن بخارى مشتقة من بخار وهي بلغة (المغان) رجال الدين الزرادشت " مجمع العلوم"، وتقترب هذه الكلمة من كلمة معبد الأيغور والخطا .

ووردت كلمة بخارى(١٥٠) في رحلة السائح الصيني " هوان جوانك " -Huan-Cuang - الذي قام برحلته الي هذه النواحي سنة ٦٣٠ م - باسم (بو هو Pu-Ho) ، الذي هو مأخوذ من اسم بخارى المعروف في اللغة التركية المغولية ، وأصله بخار المأخوذ من السنسكريتية " دهار " (Vehara) وتعني الصومعة أو الدير (١٥١).

كذلك كان للبوذية رواج كبير يذكر في تلك النواحي ، ويرجع ذلك إلى اثر انتشار نفوذ الصين بين اتراك الشمال (١٦٣ ق.م - ١٩٦م) (١٥٢) ، ويعتقد المستشرق فامبري(١٥٣) أن العقائد البوذية قد وجدت لها أتباعا على ضفاف زرفشان في القرون المسيحية الأولى .

وكان لاتصال بخارى بالصين منذ القدم اثره الفعال في الترويج للبوذية خلال تلك الفترة، ويحكى عن (اسكجكت) أن أحد ملوك بخارى الأقدمين كان قد تزوج بابنة خاقان الصين ، فحمل إليه ضمن ما حمل معها معبدا وأوثانا وضعت في راميثن من توابع بخارى ، وقد حظيت هذه الناحية بعناية الملوك ، فاهتموا بتحصينها حيث اتخذها الأمراء مقاما لهم لما لها من أهمية دينية (١٥٤)، وكانت بيكند على تلك

الحال من الأهمية ، لما بها من المعابد البوذية (١٥٥).

وظلت البوذية في بخارى وماجاورها قائمة إلى أن أدركها العرب الفاتحون، ويحكى البلاذري (١٥٦) انه حين قدم العرب إلى البتم (١٥٧) أصابوا أصناما من ذهب .

ويتجلى لنا رواج البوذية فيما ظهر بنواحي بخارى من أسواق لبيع الأصنام، ويذكر النرشخي أنه كان يقام قبل الإسلام في بخارى سوق " ماخ " لبيع الأصنام مرتين في كل عام ولمدة يوم واحد في كل مرة ، فكان يباع منها مايربو قيمته على خمسين ألف درهم في اليوم الواحد(١٥٨) .

والحق أنه على الرغم من مكانة رجال الدين الزرادشت بين الشعب البخارى على مر فترة زمنية طويلة ، إلا أن الأثر الصيني كان من شأنه أن يروج للبوذية بين أفراد السلطة الحاكمة ابان حكم أسرة هان الصينية (١٦٣ ق.م - ١٩٦م) وظل ذلك الأثر قائما إلى أن اشتد عوده - بطبيعة الحال في القرن السابع الميلادي باستيلاء الصينيين على بخارى (١٥٩) ، مما يعكس لنا نضالا دينيا بين البوذية والزرادشتية في بخارى - بالذات - جاء مقرونا بصراع آخر عرقي شديد الوطأة بين شعبين (التورانيون)(١٦٠) - و(الايرانيون)(١٦١)، وكان ذلك الأخير اكثر ضراوة ، ويؤيده قيام الايرانيين في حمية طبيعية دفاعا عن ديانتهم القومية (١٦٢)، وكان لذلك الصراع أثره في ظهور تفكك سياسي أفاد منه العرب الفاتحون كثيرا .

ولايخفي علينا أن النضال بين البوذية والزرادشتية في بخارى قد فتح للجهود التبشيرية المسيحية القادمة بابا يسهل اختراقه ، ونأخذ في هذا السياق بالتحليل الذي قدمه فامبرى والذي انتهى إلى أن مطاردة الامبراطورية البيزنطية للنساطرة المنشقين على الكنيسة في القرن الرابع الميلادي بسبب الخلافات المذهبية قد دفعت بهؤلاء إلى الهروب إلى الشرق لكسب عطف الساسانيين ، الأمر الذي اسهم في خلق مناخ صحى نفذوا من خلاله مستغلين ذلك الاصطدام بين البوذية والرزادشتية ، وهيأوا لجهودهم التبشيرية مجالا واسعا قبل الاسلام لتلقي قبولا وتأييدا (١٦٣) .

وراجت المسيحية في بخارى قبل الاسلام(١٦٤) ، غير أن ظهورها في سمرقند

كان يسبق بخارى حيث ظهرت الأسقفيات البابوية في القرن الخامس الميلادى ، وسرعان ما كتب للمسيحية الرواج في القرن السادس الميلادي ، واورد النرشخي ما يفيد أن الغرباء الذين تدفقوا على بخارى أسهموا في الدعوة إلى هذه الديانة قبل قدوم العرب(١٦٥) ، وأن العرب أدركوا الكنائس بداخل المدينة حين قدموا إليها بقصد الفتح (١٦٦).

وصفوة القول ، أن الشعب البخارى قد قاسى على مر فترة زمنية قبل الاسلام من أزمات سياسية وتفككت وحدته الاجتماعية على اثر سيطرة كبار الملاك (الدهاقين) وكبار التجار ، فضلا عن افتقاره إلى الوحدة المذهبية الأمر الذي كان من شأنه أن ييسر على العرب الفاتحين أمر فتح هذه البلاد .

الهوامش

١ - مسالك الممالك ، صفحة ٣٠٥ - وانظر أيضا ابن حوقل : صورة الارض ، ص٣٩٢.
٢ - الاصطخرى : المصدر السابق ، صفحة ٣١٥ .
٣ - النرشخي : تاريخ بخارى ، صفحة ٢٧.
٤ - النرشخي : المصدر السابق والصفحة.
٥ - البلاذري : فتوح البلدان، صفحة ٣٩٣ .
٦ - بلدان الخلافة الشرقية ، صفحة ٥٠٣ و٥٠٤.
٧ - أحسن التقاسيم ، صفحة ٢٦٩ .
٨ - يحسبها المقدسي من جملة مدن بخارى (احسن التقاسيم ، صفحة ٢٦٧).
٩ - المسالك والممالك ، صفحة ٣١ .
١٠- أحسن التقاسيم ، صفحة ٢٧٨ و ٢٧٩.
١١- تاريخ بخارى ، ص ٢٧-٣١.
١٢- المقدسي : أحسن التقاسيم ، صفحة ٣٦٩.
١٣- الأصطخرى : مسالك الممالك ، ص ٣٠٧ .
١٤- الاصطخرى : المصدر السابق والصفحة .
١٥- فامبرى : تاريخ بخارى ، ص ٢١ ، ٢٢ .
١٦- المسالك والممالك ، ص ٣٠٦ - وانظر ايضا ابن حوقل: المصدر نفسه، ص٤٠١.
١٧- النرشخي : تاريخ بخارى ، ص ١٨ و ١٩ .
١٨- النرشخي : المصدر السابق والصفحة .
١٩- اسم جامع لجميع بلاد الترك .
٢٠- وصف النيسابورى الرساتيق بأنها مجموعة القرى أو المواضع الصالحة للسكنى (النرشخي : تاريخ بخارى ، ص ١٨).

٢١- محيط زندكي وأحوال واشعار رودكي (نشأة وتاريخ حياة شاعر الرودكي واشعاره)، صفحة ٢١ .

٢٢- اشار بطليموس إلى سمرقند على اعتبار أنها تقع على جانب هذا النهر مبينا أن هناك مدينة أخرى في نفس الناحية دون أن يذكر اسمها (سعيد نفيسي: المرجع السابق ، ص ٢١).

٢٣- بكسر أوله وسكون ثانيه وفتح الكاف وسكون النون ، ناحية بين بخارى وجيحون ، وتقع على مرحلة من بخارى (ياقوت : معجم البلدان ، ج١، ص٥٣٣.

٢٤- تعنى بلغة بخارى جوهر (النرشخي : تاريخ بخارى ، ص ٢٠).

٢٥- النرشخي : تاريخ بخارى ، ص ٢٠ ، وكت ، معناها المدينة أي مدينة حموك ، ويقال عن الشخص العظيم في اللغة البخارية حموك (النرشخي : المصدر السابق والصفحة).

٢٦- يعنى بهم كبار الفلاحين وملاك الأراضي .

٢٧- هذا اللقب يدل على العظمة التي كان يتحلى بها هذا الملك بين الناس (النرشخي : المصدر نفسه ص ٢٠).

٢٨- لقب يعنى به أسد الغابة (النرشخي : المصدر السابق والصفحة) .

٢٩- مدينة عامرة ، بينها وبين شاطىء جيحون فرسخ واحد (النرشخي ، المصدر نفسه ، ص ٣٦).

٣٠- اسكجكث (بكسر السين المهمله والجيم بين الكافين ، وفي آخرها ثاء قرية على بعد أربعة فراسخ من بخارى على طريق سمرقند (السمعاني : الانساب ، ورقه ٣٣٢).

- " راميثن " ، بكسر الميم و سكون الياء وثاء مثلثه ، وآخره نون ذكرها كل من المقدسي وياقوت من جملة مدن بخارى (انظر : حسن التقاسيم ، ص ٣٦٧- معجم البلدان ، ج ٣، ص ١٨).

- " وشرغ " ، بفتح اوله وسكون ثانيه وغين معجمه (ياقوت : معجم

البلدان، مادة شرغ) .

- وذكر خرداذبة بأنها تقع على بعد أربعة فراسخ من بخارى (المسالك والممالك ص ١٢٥) كما ذكرها النرشخي ضمن مدن بخارى (تاريخ بخارى ، ص ٣٠).

- " فرخشى " ذكرها الاصطخرى بأنها على الطريق بين بخارى وخوارزم موضحا أن القاصد من بخارى إلى سمرقند كان ينزل بها (المسالك والممالك ، ص ٣٣٨) ، وذكرها المقدسي ضمن مدن بخارى (احسن التقاسيم ص٣٦٧).

٣١ - الجريب يعادل عشرة آلاف متر مربع (سعيد نفيسي: المرجع نفسه، صفحة١٥).

٣٢- سعيد نفيسى : المرجع نفسه ، ص ١٥.

٣٣- المقدسي : أحسن التقاسيم ، ص ٣٦٩ - ياقوت : معجم البلدان ، ج١، ص ٣٥٣.

٣٤- سعيد نفيسى : المرجع السابق ، ص ١٥ .

٣٥- ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ج ١، ص ٣٥٣.

٣٦- المقدسي : المصدر نفسه ، ص ٣٣١ - ابن حوقل : المصدر نفسه ، ص ٤٠١.

٣٧- تاريخ بخارى ، ص ٥٢ ، ٥٣ .

٣٨- من ذلك نهر (شابوركام) Shapour Kam ، ويروى أن أحد أبناء كسرى من آل ساسان ويدعى "شابور" كان قد اتجه إلى بخارى قبل قدوم المسلمين إليها ، حيث اكرمه صاحبها (بخاراخداة) واقطعه مكانا ، فبنى " شابور" نهرا عظيما به وأسماه باسمه ، وذكر النرشخي اثنتىعشر نهرا حفرها الناس في بخارى وترجع إلى نفس التاريخ (النرشخي : تاريخ بخارى ، ص ٥٢، ٥٣).

٣٩- المقدسي : احسن التقاسيم ، ص ٣٢٣.

٤٠- الاصطخرى : مسالك الممالك ، ص ٣٠٩ -٣١١ - ابن حوقل : المصدر نفسه، ص ٤٠١ ، ٤٠٢ .

٤١- المصدر نفسه ، ص ٣١٠.انظر الملحق رقم (٢) .

٤٢- هي نفس مدينة طوايسه التي ذكرها النرشخي ، وقد أوردها كل من ابن حوقل وياقوت الحموى الطواويس ، ويذكر النرشخي أن " أرقود " هو الاسم القديم لهذه المدينة ، وعرفت في العصر العربي بطواويس ، ويرجع سبب هذه التسمية إلى القوم المترفين الذين كانوا يستوطنون هذه المدينة ، فكان كل فرد في بيته يقتني طاووسا ، ولما قدم العرب ورأوا كثرة مابها من طواويس اطلقوا عليها هذا الاسم (النرشخي : المصدر نفسه ، ص ٢٧ ، ٢٨)، وحول مدن بخارى انظر الملحق رقم (١) .

٤٣- يقصد نهر الصغد .

٤٤- وردت عند كل من النرشخي وابن حوقل وياقوت ضمن قرى بخارى (تاريخ بخارى ص٣٢ - صورة الأرض، ص ٤٠٣ - معجم البلدان ، ج٥، ٣٧١.

٤٥- كلمة عربية تشير إلى قلعة صغيرة أو قصر مدينة بخارى القديم ، واصلها كهندر بالفارسية ، وخففت إلى كندز (سعيد نفيسي : المرجع السابق، ص٢٢).

٤٦- ياقوت : معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٣٥٣.

٤٧- المقدسي : المصدر نفسه ، ص ٣٣١ .

٤٨- المقدسي : المصدر نفسه ، صفحة ٣٣١ .

٤٩- سعيد نفيسي: المرجع نفسه ، ص ١٥ .

٥٠- الاصطخرى : المصدر نفسه ، ص ٣١٤ - ياقوت : المصدر نفسه ،مادة كرمينية.

انظر حديثهما حول كرمينية بنواحي بخارى .

٥١- الاصطخرى : المصدر نفسه ، ص ٣١٤ .

٥٢- الاصطخرى : المصدر نفسه ، ص ٢٨٨ .

٥٣- المصدر نفسه ، ص ٣١٢.

٥٤- النرشخي: المصدر نفسه ، ص ٤٧ .

٥٥- النرشخي : المصدر نفسه ، ص ٣٠ .

٥٦- الاصطخري : المصدر نفسه ، ص ٣١٤ و ٣١٥.

٥٧- النرشخي : المصدر نفسه ، ص ٣١ .

٥٨- النرشخي : المصدر نفسه ؟ ص ٣٧.

٥٩- النرشخي : المصدر نفسه ، ص ٣٠ .

٦٠- النرشخي : المصدر نفسه ، ٣٥.

٦١- المقدسي : المصدر نفسه ، ص ٢٧٧ ، و٢٧٨ .

٦٢- فامبري : تاريخ بخارى ، صفحة ٤٦ .

لايخفى علينا تلك النظرة المادية التي عكف عليها المستشرقون عند تفسيرهم لحركة الفتوحات العربية دون أن يلتزموا في هذا السبيل بمواقف ايجابية تتسم بالموضوعية تجاه الاسلام .

٦٣- النرشخي : المصدر نفسه ، ص ٣٠ .

٦٤- النرشخي : المصدر نفسه ، ص ٣١ .

٦٥- بفتح الهمزة وسكون الفاء والشين معجمه مفتوحة من قرى بخارى (ياقوت : المصدر نفسه ، ج ١ ، ص٢٣١).

٦٦- النرشخي : المصدر نفسه ، ص ٣١ ، ٣٢ .

٦٧- انظر ما أورده النرشخي عن سوق شرغ (المصدر نفسه ، ص ٣٠).

٦٨- ابن خرداذبة : المسالك والممالك ، ص ٢٥ و ٢٦ - الاصطخرى : مسالك الممالك، صفحة ٣١٥ ، ٣١٦ .

٦٩- الاصطخرى : المصدر نفسه ، ص ٣١١ .

٧٠- فامبرى : المرجع نفسه ، صفحة ٤٥ ، ٤٦.

٧١- المصدر نفسه ، صفحة ٣٤ .

٧٢- النرشخي : المصدر نفسه ، ص ٣٠ .

٧٣- النرشخي : المصدر نفسه ، ص ٢٨ .

٧٤- مسالك الممالك، ص ٣٢٤و٣١٥.

٧٥- المقدسي : المصدر نفسه ، ص ٣٢٤ .

٧٦- النرشخي : المصدر نفسه ، ص ٣١ .

٧٧- النرشخي : المصدر نفسه ، ص ٣٧ .

٧٨- بضم أوله وسكون ثانية ، وراء مضمومه ، وسين مهمله من نواحي بلاد ماوراء النهر بين سيحون وسمرقند ، وتقع إلى الشرق من سمرقند بمسافة قدرها ستة وعشرون فرسخا ، ويحسبها الجغرافيون من جملة الاقليم الرابع (انظر ابن خرداذبة : المسالك والممالك ، ص ٢٩ - الاصطخرى : مسالك الممالك ، ص٣٢٥ - ياقوت الحموى : المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ١٩٧.

٧٩- يقع جانب كبير منها شمال أشروسنة ، ويذكر عنها الاصطخري أنها تتصل ببلاد ماوراء النهر (مسالك الممالك ، ص ٣٢٥).

٨٠- تقع شمالي اشروسنة (الاصطخرى : المصدر نفسه ، ص ٣٢٥).

٨١- الاصطخرى : المصدر نفسه ، ص ٢٨٨.

٨٢- النرشخي : المصدر نفسه ، ص ٢٧ ، ٢٨ .

٨٣- سعيد نفيسي : المرجع نفسه ، ص ٢٥.

٨٤- النرشخي : المصدر نفسه ، ص ٥٠ .

٨٥- سكان ايران القدماء (لغت نامة دهخدا : عدد مسلسل ١٥٠ ، ص ٦٨٨).

٨٦- لغت نامة : المرجع نفسه ص ٦٨٨.

٨٧- سعيد نفيسي : المرجع نفسه ، ص ١٨ .

٨٨- لغت نامة : المرجع نفسه ، ص ٦٨٨.

٨٩- لغت نامة : المرجع نفسه ، ص ٦٨٨ .

٩٠- عطا ملك الجويني : تاريخ جهانكشاى ، ج ١ ، ٧٦ .

٩١- مسالك الممالك : ص ٣١٤ .

٩٢- اصطخر : بكسر اوله وسكرن الخاء المعجمة ، بلد بفارس من الاقليم الثالث ، ويحسبها ياقوت (من اعيان حصون فارس ومدنها وكورها (ياقوت : المصدر نفسه ، ج١ ، ص ١١).

٩٣- لغت نامة دهخدا: نفسه،ص٢٨٧ . ٢٨٨.
٩٤- رضا قلى خان هدايت : رياض العارفين ، ص ١٠٧.
٩٥- لغت نامة : المرجع نفسه ، ص ٢٨٨.
٩٦- حسن أحمد محمود : الإسلام في آسيا الوسطى ، ص ١٣٥.
٩٧- حسن أحمد محمود : المرجع نفسه ، ص ١٣٥.
٩٨- ويقصد بهم (الصينيون) الذين اتخذوا من البوذية دينا ومذهبا (سعيد نفيسي : المرجع نفسه ، ص ٣٠).
٩٩- حسن أحمد محمود : المرجع نفسه ، ص ١٣٦.
١٠٠- فامبرى : المرجع نفسه ، ص ٣٩.
١٠١- الاصطخرى : المصدر نفسه ، ص ٢٩٠.
١٠٢- عطا ملك الجوينى : المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٧٦ .
١٠٣- الاصطخري : المصدر نفسه ، ص ٣١٢. انظر ما أورده الاصطخري حول تحصينات بخارى ودلالة ذلك .
١٠٤- لغت نامة : المرجع نفسه ، صفحة ٢٨٧-٢٨٨.
١٠٥- المقدسي : احسن التقاسيم ، ص ٣٦٩.
١٠٦- سعيد نفيسي : المرجع نفسه ، ص ١٥.
١٠٧- النرشخي :المصدر نفسه ، ص ٥٠ .
١٠٨- المصدر نفسه ، ص ١٩-٢١.
١٠٩- النرشخي : المصدر نفسه ، ص ٢٠ .
١١٠- كان دهقانا عظيما : تزعم هؤلاء الترك الفارين من بيكند إلى التركستان ، ويذكر عنه الاصطخري أنه من ملوك الترك المعروفين (مسالك الممالك ، ص٢٩٢ ، واستخدمت اللفظة فيما بعد كلقب يطلق على ملوك بخارى (ابن خرداذبة : المسالك والممالك ، ص ٤٠).
١١١- النرشخي : المصدر نفسه ، ص ٢١ .
١١٢- حسن محمود : المرجع نفسه ، ص ١٣٧.

١١٣- النرشخي : المصدر نفسه ، ص ٢١ .

١١٤- النرشخي : المصدر نفسه ، ص ٢١ .

١١٥- النرشخي : المصدر نفسه ، ص ٢٣.

١١٦- فامبرى : المرجع نفسه ، ص ٣٩ .

١١٧- النرشخي : المصدر نفسه ، ص ٤٧ .

١١٨- تاريخ الأمم والملوك ، ج ٣ ، ص ٥٢٨ .

١١٩- الاصطخري : المصدر نفسه ، ص ٣٠٧ و ٣٠٨ - ابن حوقل : المصدر نفسه، ص ٣٩٨.

١٢٠- سعيد نفيسي : المرجع نفسه ، ص ٢٣ .

١٢١- النرشخي : المصدر نفسه ، ص ٤٢ .

١٢٢- يُعنى بها سبعة نجوم ترى في السماء أي ترمز إلى السيارات السبع .

١٢٣- النرشخي : المصدر نفسه ، ص ٤٢ .

١٢٤- النرشخي : المصدر نفسه ، ص ٤٢ .

١٢٥- لغت نامة : صفحة ٦٨٨.

١٢٦- تستعمل المصنفات الفارسية كلمة (ربض)للدلالة على هذه الضاحية وهي كلمة عربية ، وتقع بالضاحية بين المدينة القديمة والحائط الذي بني في عهد المسلمين الأوائل (سعيد نفيسي : المرجع نفسه ، ص ٢٣).

١٢٧- سعيد نفيسي : المرجع نفسه ، ص ٢٦.

١٢٨- النرشخي : المصدر نفسه ، ص ٣٢ .

١٢٩- تُعرف بالفارسية (شهرستان).

١٣٠- ياقوت الحموي : المصدر نفسه ، ج ١، ص ٣٥٣ .

١٣١- الاصطخري : المصدر نفسه ، ص ٣٠٦ .

١٣٢- الاصطخري : المصدر نفسه . ص ٣٠٦ - المقدسي : المصدر نفسه ، ص٢٨٠.

١٣٣- المقدسي : المصدر نفسه ، ص ٢٨٠ .

١٣٤- النرشخي : المصدر نفسه ، ص ٥٢ .

١٣٥- النرشخي : المصدر نفسه ، ص ٥٢ .

١٣٦- حسن أحمد محمود : المرجع نفسه ، ص ١٣٧ .

١٣٧- لغت نامة : ص ٦٨٨ - سعيد نفيسي : المرجع نفسه ، ص ١٩ .

١٣٨- مسالك الممالك ، ص ٣١٤ .

١٣٩- الاصطخري : المصدر نفسه ، ص ٣١٤ .

١٤٠- سعيد نفيسي : المرجع نفسه ، ص ١٨ .

١٤١- سعيد نفيسي : المرجع نفسه ، ص ١٨ ، ١٩ .

١٤٢- المصدر نفسه ، ص ٣٢ ، ٤١ .

١٤٣- النرشخي : المصدر نفسه ، ص ٤١ .

١٤٤- النرشخي : المصدر نفسه ، ص ٤١ .

١٤٥- النرشخي : المصدر نفسه ، ص ٢٣ و ٤٤ .

١٤٦- النرشخي : المصدر نفسه ، ص ٣٣ .

١٤٧- النرشخي : المصدر نفسه ، ص ٤٥ .

١٤٨- النرشخي : المصدر نفسه ، ص ٥٠ .

١٤٩- تاريخ جهانكشاي : ج ١ ، ص ٧٦ .

١٥٠- عُرفت في المصادر العربية والايرانية باسم (نومجكت) و(بنمجكت) ــ(الاصطخري : المصدر نفسه ، ص ٣٠٥ - سعيد نفيسي : المرجع نفسه، ص٢١)ــ تخفيفا للكلمة " نوا - مي " (Nu - Mi) الواردة في الكتب الصينية منذ القرن الخامس الميلادى (سعيد نفيسي : المرجع نفسه ، ص٢١- رضا قلي خان هدايت : رياض العارفين ، صفحة ١٠٧).

١٥١- سعيد نفيسي : المرجع نفسه ، ص ٢١ ، ٢٢ .

١٥٢- فامبرى : المرجع نفسه ، ص ٥١ .

١٥٣- المرجع نفسه ، ص ٥١ .

١٥٤- النرشخي : المصدر نفسه ، ص ٣٢ .

١٥٥- النرشخي : المصدر نفسه ، ص ٧٠ .

١٥٦- فتوح البلدان ، صفحة ٤١٠ .

١٥٧- بضم أوله وفتح ثانيه مع التشديد : جهة بنواحي فرغانة ، وهناك البتم وهي جبال ينتهي إليها مياه بخارى وسمرقند(ياقوت : المصدر نفسه، ج ١، ص٢٣٥-٢٣٦).

١٥٨- النرشخي : المصدر نفسه ، ص ٣٨ .

١٥٩- لغت نامة : المصدر نفسه ، ص ٦٨٨ - ٦٨٩ .

١٦٠- هم الترك الشرقيون ، وأصحاب العقيدة البوذية .

١٦١- هم اصحاب العقيدة الزرادشتية ، وهم سكان بلاد ماوراء النهر .

١٦٢- فامبرى : المرجع نفسه ، ص ٥١ .

١٦٣- فامبرى : المرجع نفسه ، ص ٥٢ .

١٦٤- النرشخي : المصدر نفسه ٨٠ .

١٦٥- النرشخي : المصدر نفسه ، ص ٥٠ .

١٦٦- النرشخي : المصدر نفسه ، ص ٨٠ .

الفصل الثانى

الفتح العربى لبخارى

الفصل الثاني
الفتح العربي لبخارى

الفتح العربي لخراسان والتمهيد لفتح ماوراء النهر .

من الثابت أن الفاتحين العرب خرجوا من الجزيرة العربية زمن الراشدين لنشر الإسلام في غير بلاد الإسلام عملا بسياسة وضع أساسها الرسول صلى الله عليه وسلم، فطوقوا الولايات البيزنطية والفارسية تطويقا كاملا ، فضموا العراق والشام ومصر ثم أزالوا دولة الأكاسرة (٣١هـ - ٦٥١م) ، وسرعان ما تقدموا حتى طوقوا من أقاصى الحدود الشرقية للدولة الساسانية إلى إقليم ماوراء النهر حيث بخارى وسمرقند، وامارات الترك الغربية .

توسعت رقعة الدولةالعربية الإسلامية في الشرق في عهد الخليفة عمر بن الخطاب على أثر الانتصارات التي أحرزها الأحنف بن قيس في خراسان (١) ، ووطد بها النفوذ العربي في ايران الأمر الذي فاجأ العرب بخطر جديد ينبغي مواجهته ، فقد ظهر للجند العرب خطر الترك أثناء مطاردتهم " يزدجرد " الذي فر من مرو الروز وطلب المدد من خاقان الصين وملك الصغد (٢) ، وكان ذلك كله ماثلا في أذهان الخليفة عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) بعد أن أنهى الفاتحون عملياتهم العسكرية في خراسان بنجاح ، ذلك أنه على الرغم من اتساع رقعة دولته إلا أنه خشى أن تنتفض بعض البلاد فكتب إلى الأحنف بن قيس مانصه (أما بعد فلا تجوزن النهر ، واقتصر على ما دونه ، وقد عرفتم بأي شيء دخلتم على خراسان، فداوموا على الذي دخلتم به خراسان يدم لكم النصر ، واياكم أن تعبروا فتنفضوا)(٣).

وأورد الطبرى أن الترك من أهل فرغانة والصغد أعانوا يزدجرد ، فساروا في أثره عند عودته إلى خراسان ، فبلغوا بلخ (٤) ، وواصلوا السير إلى حيث عسكر المسلمون في مرو الروز (٥) بقيادة الأحنف بن قيس ، غير أن الأحنف سرعان ما أعد

عدته ، ورتب عسكره الذي كان يمثله أعداد وفيرة من أهل الكوفة والبصرة فجعل الجبل خلف ظهورهم ، ونهر مرو من أمامهم ليكون خطا دفاعيا يحول دون وصول الترك إليهم ، ولما أيقن الترك بأنه لا طاقة لهم به وجنوده تركوا الميدان في ظلمة الليل، وحينئذ عرف الأحنف مكانهم ، وأوقع بهم ، فانصرف الترك إلى بلخ (٦) وكان يزدجرد قد ترك مرو الروذ في طريقه إلى مرو الشهجان(٧) حيث اودع خزائنه وأمواله، فأراد حملها إلى حيث يقيم خاقان الصين رغبة في مجاورته ببلخ أو الصين ، فقاطعه أهل فارس ، ناصحين اياه بمصالحة العرب أو الرحيل دون أن يحمل معه خزائن بلاده ، وانتهى الأمر بأن أوقعوا به الهزيمة ؛ وأرغموه على الفرار إلي فرغانة، فأقام هناك بين الترك طيلة عهد الخليفة عمر بن الخطاب ، أما خاقان الصين ، فقد باغته الأحنف في بلخ ، فاضطره إلى الفرار منها ، فعبر النهر عائدا إلى بلاده(٨)، وطالب أهل فارس بالصلح مع العرب ، فصالحهم الأحنف (٩).

مما لاشك فيه أن احتضان الترك ليزدجرد على هذا النحو كان من وراء خشية الخليفة عمر بن الخطاب من تقدم الأحنف بن قيس إلى ماوراء خراسان ، فظل حتى نهاية حياته دون أن يأذن لجنده بتجاوز جيحون ، غير أن العرب المسلمين وقفوا على أحوال الترك حتى إذا أعدوا العدة لغزوهم في وقت لاحق قهروا الحواجز بشجاعة .

ومما ساهم في خلق ظروف مشجعة على عبور جيحون أن العرب وطدوا نفوذهم في خراسان في خلافة عثمان بن عفان (رضى الله عنه) حيث بعث عبد الله بن عامر ابن كريز والي البصرة سنة ٣٠هـ جيشا تحت امرة الأحنف بن قيس إلى خراسان ، فغزاها (١٠) ، ووالى المسير في جموع بالنواحي الخراسانية فبلغ الطبسين (١١)، وصالح أهلها (١٢) ، ثم يمم وجهه شطر قوهستان (١٣) حيث لقى أول جموع للترك (الهياطلة)، فهزمهم ، ولما طالبوه بالصلح ، صالحهم على ستمائة ألف درهم .

وسرعان ما أوغل العرب في نواحي نيسابور أعظم مدن خراسان(١٤)، فجابوا وستاق زام وباخرز وجوين وبيهق، وبشت واشبندروخ وزاوه وخواف، وآتوا ابرشهر ، وحاصروها أشهرا، ونتج عن ذلك كله أن صالح العرب أهالي نيسابور على ألف ألف درهم، وقيل سبعمائة ألف درهم، وعُهد لقيس بن الهيثم السلمي بولايتها(١٥).

ووالى عبد الله بن عامر جهوده لتطويق النواحي الخراسانية ، فسار بنفسه(١٦) إلى أبيورد(١٧) التي انتفض أهلها بعد خضوعهم للأحنف بن قيس(١٨)، ولما أدرك " بهمنة " عظيم أبيورد أنه لا قبل له بالجند العرب ، صالحهم على أربعمائة ألف درهم (١٩) ، كما وجه عبد الله بن عامر جيشا تحت امرة عبد الله ابن خازم إلى سرخش (٢٠) ، ففتحها، وصالح مرزبانها على ايمان مائة رجل (٢١) ، وطوق ابن خازم النواحي المجاورة لسرخش حتى طلب مرزبان طوس الصلح ، فصالحه ابن عامر على ستمائة ألف درهم (٢٢) ، وسرعان ما صالح مرازبة هراة (٢٣) ، وباذغيس (٢٤) التي كانت حينئذ دارا لمركز جموع الترك (الهياطلة)(٢٥) ، وبوشنج ومرو الشاهجان (٢٦) ، ثم أخذ والى البصرة عبد الله بن عامر التأهب إلى طرق ماوراء خراسان ، فارتاد معابر المارة مابين طخارستان وجيحون(٢٧).

لم يصادف عبد الله بن عامر صعوبة في تطويق هذه المعابر ، إذ سرعان ما بعث بالأحنف بن قيس ، إلى ترك طخارستان حيث اجتمع منهم من أهل الجوزجان والطالقان والفارياب (٢٨) ثلاثون ألفا انضم إليهم من ترك الصغانيان جمع كبيرمن الذين كانوا يستوطنون الجانب الشرقي من النهر(٢٩) ، في حين عسكر الأحنف بالذات بين المرغاب والجبل في نحو أربعة ألف من الجنود العرب والف من الفرس الذين اسلموا ، حتي يكسر هذه الكثرة العددية للترك ، (فلا يلقى من عدوه وان كثروا إلا مثل عدة أصحابه) ، وهكذا أوقع بهم هزيمة منكره (٣٠) ، وأسند إلى الأقرع بن حابس التميمي مهمة المسير في جمع من بني تميم في أثر من هرب من الترك إلى الجوزجان ناصحا اياه بأن يمتثلوا لأمر الجهاد بالاستمساك بقواعده واشاعة التعاون بين أفراد جيشه (٣١) ، وانتهى الأمر بانتصار المسلمين على الترك (٣٢) ، وقد وقع نفر من الفتية الترك بين القتل والأسر (٣٣)، الأمر الذي دعا أهل الطالقان(٣٤) والفارياب إلى طلب الصلح من العرب ، وعول الأحنف على المسير إلى أهل مرو الروذ الذين انتفضوا ، فلقيهم في جنح الظلام ، وظل على قتالهم حتى أنزل بهم هزيمة ساحقة في صباح اليوم التالي ، ثم صالحهم (٣٥).

سار الأحنف من مرو الروذ إلى بلخ (٣٦) ، فصالحه أهلها مما كان له أكبر الأثر

في أن ينهض لاستكمال فتوحاته بفتح ماوراء النهر بعد أن صار بيديه بفتحه بلخ جميع البلاد الواقعة على الضفة الجنوبية من نهر جيحون (٣٧) ، ونستخلص من اشارات البلاذري (٣٨) والطبري(٣٩) أن بلخ صارت بعد ضمها قاعدة انطلاق العرب إلى ما وراء النهر ، فزحف منها الأحنف إلى قرب خوارزم ، ولما أدركه الشتاء عاد إلى بلخ ، وقيل أن عبدالله بن عامر عبر النهر (حتى آتى موضعا موضعا ...) وقيل - أيضا - أن ترك ماوراء النهر قد جاءوا إليه وصالحوه (٤٠).

يمم عبد الله بن عامر وجهه شطر الحجاز طلبا للعمرة سنة ٣٢هـ (٤١)، بعد أن ترك في خراسان ثلاثة من القواد ، وهم بالتحديد الأحنف بن قيس ، وحاتم بن النعمان الباهلي، وقيس بن الهيثم ، وقيل أنه استخلف عليها قيس بن الهيثم (٤٢)، وأن عبد الله بن خازم زعم أن ابن عامر قد ولاه خراسان ، فحارب الترك ، وفرق جمعهم ، وذهب إلى البصرة، الأمر الذي دعا الخليفة عثمان بن عفان إلى مصالحة ترك ماوراء النهر ، فعقد لهم العقود (٤٣).

كان طبيعيا أن تضطرب خراسان على أثر الأحداث التي دهمت الدولة العربية الإسلامية في أثناء فتنة عثمان وخلافة على بن أبي طالب ، ولما آلت الخلافة إلى معاوية بن أبي سفيان أبقي قيس بن الهيثم على خراسان ، فعامل قيس أهل الصلح بما ينطوي على الود واللين قرابة عام كامل حتى استبدل بخالد بن عمرو (٤٤) غير أن معاوية بن أبي سفيان أيقن أهمية الدور الذي قام به والى البصرة عبدالله بن عامر في فتح خراسان ، فضم إليه خراسان ، فأسند هذا الأخير ولايتها إلى قيس بن الهيثم الذي نهض في جمع من جنده متجها صوب الطرف الجنوبي لبلاد ماوراء النهر حيث بلغ بلخ ، فصالح أهلها (٤٥) ، كما وجه ابن عامر عبد الله بن خازم إلى الأهلين في هراه وبوشنج (٤٦) وبادغيس ، فصالحهم .

انتقلت ولاية البصرة سنة ٤٥هـ إلى زياد بن أبي سفيان (٤٧) فوطد نفوذه فيها (٤٨) ، وأسند ولاية خراسان إلى الحكم بن عمر الغفاري (٤٩) الذي أخذ يتجه صوب شواطىء جيحون بفعالية لم يعهد لها مثيل من قبل حتى عرف عنه بأنه (أول من صلى من وراء النهر)(٥٠) ، وسرعان ما بدأت سياسة اسكان العرب وتوطينهم

خراسان وفق سياسة وضع أساسها الربيع بن زياد الحارثي الذي خلف الحكم بن عمرو في ولاية خراسان سنة ٥١ هـ (٥١)، ويذكر البلاذرى أن الربيع (حول معه من أهل المصرين زهاء خمسين ألفا بعيالاتهم ...)(٥٢) ، وأورد الطبري (٥٣) حول هذه الجزئية مانصه (فنقل الناس عيالاتهم ، ووطنوا بها) ، والمقصود بالأهل والناس فيما أورده المؤرخان العناصر العربية المصاحبة للربيع بن زياد الحارثى ، من أهالي البصرة والكوفة .

وطد الربيع نفوذه في خراسان بعد أن صالح أهل بلخ(٥٤) ، وأخضع ترك قهستان عنوة (٥٥) ، ولما توفي سنة ٥٣ هـ تولى ابنه أمر الجهاد ، فأخضع أهل آمل (أمويه وزم)(٥٦) غربي جيحون (٥٧) ، وهكذا أخذ الفاتحون يرتادون الطريق الموصل إلى بخارى ، وبدأت جموع المسلمين تتدفق على ماوراء النهر والقتال فيه .

يتضح لنا مما تقدم أن العرب في عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان قد وطدوا نفوذهم في خراسان التي صارت قاعدة تخرج منها الجيوش للفتح وأخضعوا بلخ التي كانت تمثل الباب الجنوبي لبلاد ماوراء النهر ، مما يسر على العرب أمر ارتياد هذه النواحي، ولايخفي علينا أثر هذه العوامل في التمهيد لفتح بخارى ، فجعلت العرب ينظرون إليها عن كثب توطئة لفتحها في المرحلة التالية بعد أن اقتحموا حتى شواطىء جيحون دون خطة مبيتة (٥٨)، ووقفوا على أحوال الترك ، وما صادفوه من نجاح أثناء عملياتهم السريعة الخاطفة .

المحاولات المبكرة لفتح بخارى :

لم يعد أمام العرب صعوبة لفتح ماوراء النهر بعد أن وطدوا نفوذهم في خراسان ، فلما ولى عبيد الله بن زياد خراسان من قبل الخليفة معاوية بن أبي سفيان(٥٩)، أخذ يعد عدته لفتح هذا الاقليم ، وسرعان ما بدأ ببخارى (٦٠)، حيث هاجم بيكند (أدنى مدائن بخارى إلى النهر) (٦١) ، في جمع قوامه أربعة وعشرون ألفا (٦٢) ، ومنها اتجه إلى راميثن (٦٣) حيث غنم مغانم كثيرة فيما بين سنة ٥٣ هـ وسنة ٥٤ هـ (٦٤).

وكان على بخارى آنذاك ارملة الأمير البخارى المتوفي وكانت تحكم نيابة عن ابنها القاصر وتسمى في أغلب المصادر " خاتون "(٦٥) ، وأورد البلاذرى (٦٦) أن الخاتون لما علمت بقدوم عبيد الله بن زياد إلى بيكند ، راسلت ملوك الترك طلبا للنجدة ، لكن المسلمين هزموهم ، فاضطرت إلى مصالحة العرب ، وفتح العرب بيكند وراميثن ، وعادوا إلى البصرة بعد أن غنموا مغانم كثيرة ، في حين أورد اليعقوبي(٦٧) أن عبيد الله لقى جموع الخاتون في مدينة بخارى ، فهزمها وفتح بخارى ، أما الطبري (٦٨)، فذكر أنه قد قطع النهر إلى جبال بخارى (على الابل ، فكان هو أول من قطع إليهم جبال بخارى في جند ففتح راميثن ونصف بيكند ... ولقي عبيدالله بن زياد الترك ببخارى ، ومع ملكهم امرأته قبج خاتون...)، ويؤكد النرشخي أن عبيدالله بن زياد ، بلغ بالفعل مدينة بخارى نفسها ، فاستصرخت الخاتون ملوك الترك ، فجاءوها (٦٩)، فقاتلهم العرب واوقعوا بهم مما دفع بالخاتون إلى طلب الصلح ، وعاد الترك إلى ولاياتهم .

وللتوفيق بين اشارات المؤرخين الأربعة نقول بأن عبيدالله بن زياد قد بدأ بالفعل مسيره بدخول "بيكند" و"راميثن" ، ولما علم بقدوم الترك إلى الخاتون في مدينة بخارى لنجدة لها سار إليهم وأوقع بهم ، فصالحته الخاتون وعاود المسير من بعد ذلك إلى بيكند وراميثن ففتحهما ، وقفل راجعا إلى مرو (٧٠) محملا بالغنائم العظيمة (٧١) دون أن تخضع له بخارى ، وتعد هذه الحملة من قبيل الحملات الخاطفة السريعة التي تعود على العرب بالفائدة تمهيدا لغزوات منظمة لاحقة .

ويلاحظ أن النرشخي قد بالغ كثيرا في وصفه لأحداث تلك الغزوة ، فيذكر ان عبيدالله بن زياد أمر جنده بقطع الأشجار وتخريب الديار (٧٢) ، ويركز فاميرى(٧٣) معتمدا على النرشخي - بطبيعة الحال - على هذا الجانب قائلا (وأنزل هؤلاء الغزاة - يقصد المسلمين - الخراب بكل المناطق التي مروا بها في تقهقرهم حتي اقتلعوا الاشجار التي صادفتهم في طريقهم).

على أن الأخذ بصحة هذه الاشارات يعد من قبيل المبالغة ، ذلك أن ما أمدنا به النرشخي من تفاصيل حول أحداث تلك الواقعة لا ينهض بأي حال على أن هناك ما

أثار ثائرة العرب ، فجمع الترك الذي جاء لمناصرة الخاتون قد عاد سريعا من حيث أتي بعد أن لقى ضغطا شديدا من قبل العرب الأمر الذي لايدعو العرب إلى قتل الأنفس ، وتخريب الديار ، واقتلاع الأشجار ، كما أن عبيدالله بن زياد في سياسته ازاء الترك -بالذات - لاتدفع جنوده إلى القدوم على مثل هذه الأعمال خصوصا بعد أن استسلمت الخاتون ، فضلا عن أن عبيد الله بن زياد كان مغرما بالجند الترك (٧٤) لأن أمه أعجمية (٧٥) ، وتربى على طريقتهم ، كما أنه حذا حذو أبيه في تقريب الموالى (٧٦) ، واجاز لعدد من أهل بخارى الاقامة في البصرة (٧٧). ويعد ذلك كله من قبيل الدلالات التي تنهض دليلا على أن عبيد الله بن زياد لايروقه تخريب ديار الترك ، وتقليع أشجارها بعد أن استسلم له الترك ، ولايسع المرء إلاأن يحكم على إشارات فامبرى في هذا السبيل على اعتبار كونها ضربا من ضروب التعصب ضد العرب المسلمين مدفوعاً بإشارات واردة عند النرشخي ، وأما ما كتبه النرشخي من إشارات في هذا السبيل وقدمها للبلاط الساماني في عهد الأمير نوح بن نصر الساماني - لاتختلف كثيرا عن ما قدمه كتاب العصر العباسي والتي تعكس -أحيانا- نظرة غير موضوعية تجاه بني أمية وعلاقتهم بالموالي ، جعلت تاريخ الأمويين حافلا بالمآسي والاضطهاد ، مع تسليمنا بطبيعة الحال ببعض الحقائق التي نسبت إلى بني أمية في غير مجال الجهاد ، ومنها ما نسب إلى عبيدالله بن زياد نفسه .

لما تولى سعيد بن عثمان بن عفان(٧٨) خراسان من قبل معاوية بن أبي سفيان سنة ٥٦ هـ عبر جيحون ، فبلغت اخباره خاتون بخارى فأقرته على الصلح السابق ، لكن سرعان ما أتي إليها جمع كبير قوامه مائه ألف وعشرون من أهل الصغد والترك من نواحى كش وتسف مما جعلها تنقض شروط الصلح ، لكن سعيد بن عثمان أوقع الهزيمة بالترك ، وعاودت الخاتون طلب الصلح ، فأقرها سعيد عليه ، ثم دخل مدينة بخارى حيث اتجه منها صوب سمرقند ، فأعانته الخاتون ، وانتهى الأمر بأن التقى سعيد في جمع من عسكره(٧٩) بترك سمرقند ، وانضمت إليه الخاتون ، ونشبت بين الجانبين معركة رهيبة استمرت ثلاثة أيام دارت فيها الدائرة على العسكر

السمرقندي وأصيب سعيد وبعض قواده بجراح (٨٠) ، في حين عاد ترك سمرقند أدراجهم إلى داخل المدينة ، ومما قيل أن رجلا آتي سعيد بن عثمان ، فدله على حصن بداخله قصر يختفي فيه أبناء ملوك الصغد وعظمازهم . ممن احتلوا مكانة بين الترك ، وكان أهل سمرقند أن بادروا بطلب الصلح فوافقهم سعيد على أن يعطوه رهانا من ابناء عظمائهم ، (فأعطوه خمسة عشر منهم ، ويقال أربعين ويقال ثمانين)(٨١).

وهناك تباين في اشارات المصادر حول الرهائن التي قدمت لسعيد بن عثمان بعد انتصاره في سمرقند ، فيتفق اليعقوبي مع ماذهب إليه البلاذرى من أن سعيد بن عثمان قد أخذ الرهائن من أكابر الترك بعد أن أوقع بهم الهزيمة (٨٢)، في حين يخالف الطبرى الاثنين حول الأعداد التي حصل عليها سعيد هذا من هذه الرهائن مبينا أنهم قد بلغوا الخمسين دون ذكر أية احتمالات أخرى ، ويتفق معهما في كونه قد حصل عليها بعد أن أوقع بالترك في سمرقند (٨٣) ، أما النرشخي فلا يقر بصحة ما أسلفناه من آراء المؤرخين الثلاثة ، حول هذه الجزئية موضحا أن سعيد بن عثمان قد طالب الخاتون بالرهائن هذه عند تركه مدينة بخارى متوجها صوب سمرقند ، فأعطته ثمانين شخصا من أمراء ودهاقين بخارى رهائن ممن ترغب في الخلاص منهم(٨٤)، ومما ذكره النرشخي أن سعيد بن عثمان طالب الخاتون بهذه الرهائن حتى (لاتأخذ عليه الطريق وتضايقه)(٨٥).

ولست بحاجة إلى التأكيد على أهمية الأخذ بصحة الاشارات التي أوردها الثلاثة الذين أجمعوا على حصول سعيد بن عثمان على الرهائن من ترك سمرقند بعد أن اوقع بهم الهزيمة .

على أن البلاذري انفرد دون سائر المؤرخين فيما ذهب إليه بالقول بأن الخاتون ارسلت مددا إلى سمرقند حيث كان سعيد بن عثمان يقاتل أهلها ، فأعانته (٨٦)، وقد ذكر البلاذرى السند الصحيح الذي استقى منه مادته في هذا السبيل (٨٧) وهو سند قريب من معاصرة الحدث (٨٨)، في حين ذكر النرشخي بأن الخاتون ظلت قائمة في بخارى إلى ان عاد إليها سعيد بن عثمان دون أن يذكر شيئا عن قيامها باعانته

بأهل من بخارى ويظهر في كتابات النرشخي خلط الحقائق التاريخية بالروايات الاسطورية (٨٩). فضلا عن ذكره لأحاديث موضوعة ، مع عدم التزام منهجه بذكر السند .

ولايخفى علينا ما وقع فيه النرشخي من المبالغات في وصف الغنائم التى حصل عليها سعيد بن عثمان من أهل سمرقند ، فيذكر أنه أخذ من سمرقند ثلاثين ألفا من الرقيق وأموالا طائلة ، وعاد بها إلى الخاتون في بخارى حيث طالبته برد الرهائن .

ويمضى النرشخي مشيرا إلى أن سعيد بن عثمان رد على الخاتون قائلا (انني لم آمنك بعد ، فلتبق الرهائن حتىأعبر جيحون، فلما عبر جيحون أرسلت إليه شخصا فقال انتظري حتى أصل إلى مرو ، فلما وصل إلى مرو فقال انتظري حتى أصل نيسابور ، فلما وصل نيسابور قال حتى أصل الكوفه، ومن هنالك إلى المدينة ، فلما وصل المدينة أمر الغلمان فحلوا السيوف والمناطق عنهم ، وأخذوا كل ما كان معهم من ثياب ديباج وذهب وفضه جميعا ، وأعطوهم الأكلمة عوضا عنها وشغلوهم بالفلاحة...)(٩٠).

يظهر من النص السابق أن سعيد بن عثمان كان يستمهل الخاتون ويخفى ماكان يعمد إليه للاستحواذ على الرهائن ، ويغلب على السياق الطابع القصصي دون سند يذكر ، بينما لم ترد هذه الرواية ضمن كتابات البلاذرى والطبرى ، وكلاهما يسبق النرشخي فضلا عن كونهما أقرب إلى السند المعاصر للحدث ، وركزا على ابـرازه ، وما أورده النرشخي حول هذا العدد الهائل من الرقيق الذين ساروا في ركاب سعيد عند عودته ، لا يؤيده دليل يقطع بصحته ، بل إن الحقائق تؤكد أن سعيد قد لقى صعوبات بعد فراغه من سمرقند ، ولم يكمل المسيرة ، وعاد سريعا من حيث أتى بعد أن صالح أهل ترمذ (٩١)، لما كان من صعوبة القتال بعد أن فاجأ سعيد فصل الشتاء(٩٢) ، فضلا عن أن النرشخي أغفل تماما مصير هؤلاء الرقيق ، وسياسة سعيد بن عثمان تجاههم ، إلى جانب ما تلمسه من المبالغة الشديدة عند استعراض الاحصاء الذي أتى به النرشخي وكل مايمكن قوله أنه قد وقع فى أسر المسلمين عدد من

الترك ، واقتيدوا في الغالب إلى مرو حيث كان موضع انطلاق الجيوش العربية وعودتها .

أما الرهائن التي استحوذ عليها سعيد بن عثمان ، فينهض التواترالذى بان في كتابات البلاذري (٩٣) واليعقوبي (٩٤) والطبري (٩٥) وابن قتيبه (٩٦) تأكيدا على مسيرهم إلى المدينة المنورة ، وحينئذ كان معاوية بن أبي سفيان قد استبدل سعيد بن عثمان بعبد الرحمن بن زياد(٩٧) .

ومما يجدر اعتباره أن العصبية القبلية كان لها دور في تأبيد سعيد بن عثمان، واظهار بطولاته ، ومما قيل أن الرهائن التي عادت إلى المدينة قد ضاقت ذرعا من سعيد ففتكت به بعد أن دبرت له (٩٨)، فنظم الشاعر الأموي خالد بن عقبة بن أبي معيط (٩٩) شعرا في رثائه اظهارا لمكرمته وفخرا بنسبة (١٠٠) في حين أن غيره ممن نظموا الشعر لم يبد شيئا من ذلك ، بل جاء الأمر في اشعارهم معكوسا (١٠١).

لما تولى يزيد بن معاوية الخلافة أسند لسلم بن زياد ولاية خراسان (٦٢-٦٤هـ)(١٠٢) فانطلق العرب إذ ذاك لفتح نواحى بخارى بعد أن وقفوا على أحوال واسرار الترك .

لما علم سلم بن زياد أخبار توليه خراسان - وكان آنذاك بالشام - انتقل إلى البصرة حيث أعد العدة واختار نفرا كبيرا من فرسانها واشرافها (١٠٣)، فضلا عن قيادات تميزت بقدراتها القتالية (١٠٤) ، وابلغ والي البصرة بما أتمه من عدة وأخبار المجاهدين الذين انضموا إليه ، وفي ذلك يذكر الطبرى (١٠٥)(فقدم سلم بن زياد بكتاب يزيد بن معاوية إلى عبيد الله بن زياد بنخبة ألفي رجل ينتخبهم ، وقال غيره بل نخبة ستة آلاف رجل ، ... فكان سلم ينتخب الوجوه والفرسان ورغب قوم في الجهاد ، فطلبوا إليه أن يخرجهم).

ومما قيل أن أهل البصرة رغبوا في الجهاد ، وطالبوا سلما بتسجيل أسمائهم في الديوان (١٠٦) ، وبلغ الأمر بكاتب الديوان أن رغب كبار الرجال في الجهاد وتثبيت أسمائهم (١٠٧).

وأسهمت المرأة العربية بدور وافر في نشر الجهاد وأضافت جديدا إلى ذلك الدور

الذي قام به سلم بن زياد ، إذ خرجت مع سلم ضمن ما خرج من البصرة امرأته (أم محمد) ابنة عبد الله بن عثمان بن أبي العاص الثقفي (١٠٨) ، ويحسبها كل من البلاذري (١٠٩) والطبري (١١٠) أول النساء اللاتي خرجن بقصد الجهاد في بلاد الترك .

بعث سلم بن زياد نفرا من جنده صوب خراسان ثم سار في ركابه بجيش كثيف(١١١) حتى بلغ مرو ، وهناك أتم عدته ، وأمدنا النرشخي (١١٢) بما يفيد بأن سلم بن زياد قد جاء خراسان ، واتخذ منها قاعدة لتجهيز جيشه توطئة لعبور النهر ، غير أن التوفيق بين ماذهب إليه النرشخي في هذا السبيل وبين ماذكره المؤرخان البلاذري والطبري يدعونا إلى القول بأن تجهيز الجيش آنذاك قد مر بفترتين ، أولاهما مرحلة الإعداد واختيار القادة ، واستنفار الناس بقصد الجهاد الأمر الذي أقبل عليه سلم في البصرة ، على حين كانت الثانية في خراسان حيث أتم خلالها سلم عدته تمهيدا لطرق أبواب جيحون ، واخضاع الترك فيما وراءه .

ولايخفي علينا أن سلم بن زياد قد خطا خطوة جديرة بالاهتمام على طريق الجهاد في بلاد الترك حينما ابدى في خراسان قبل أن ينطلق لعبور جيحون ، ضرورة أن يجعل لارتياده بلاد الترك استمرارية لا هوادة فيها ، دون أن تقهره عوامل الطبيعة والشتاء القارس الأمر الذي لم يألفه العرب من قبل ، وأورد الطبري (١١٣) أن عمال خراسان كانوا يتخذون من مرو قاعدة ينطلق منها العرب إلى ماوراء النهر ثم يعودون إليها في الشتاء ، والمعروف أن الترك كانوا يجمعون أنفسهم (مما يلي خوارزم) للتشاور والتعاقد بأن لايغزو بعضهم بعضا لمواجهة العرب ، في حين يأبى العرب الخروج إليهم درءا لمخاطر الشتاء ، وظل الأمر على تلك الحال إلى أن قدم سلم ابن زياد بجيوشه خراسان فقرر أن يقهر البرد القارس، وغزا هذه الجموع في الشتاء قبل أن ينطلق إلى بخارى ، وقيل أن سلم قد أذن من بعد ذلك للمهلب بن أبي صفرة بالمسير لإخضاع هذه الجموع ، فسار إليها في ستة آلاف جندى ، فأخضعها ، وغنم مغانم كثيرة (١١٤).

عول سلم بن زياد على المسير إلى خوارزم ، فبلغها ، وصالح أهلها على

الجزية، وعبر النهر قاصدا بخارى (١١٥) في جمع كبير من جنده أوقع الرعب في قلوب الأهلين الأمر الذي ألجأ الخاتون إلى طلب المدد من شرقي بلادها حيث كان (طرخون)(١١٦) ملك سمرقند ، ولم تر الخاتون غضاضة من مصالحة العرب (١١٧) ، ولكن إلى حين قدوم المدد المنتظر ، وسرعان ما جاء (طرخون) في مائة وعشرين ألف رجل ، وتبعه بيدون (١١٨) في جمع كبير من بلاد الترك (١١٩) ، حيث نزل على ضفاف نهر فرخان رود (١٢٠) ، ولم يفت ذلك الجمع الغفير في عضد العرب الذين فرضوا حصارا على مدينة بخارى ، وسرعان ما بعث سلم بن زياد بسرية تحت امرة المهلب بن أبي صفره ليقف على أحوال ذلك المدد ، ويعود إليه بالأخبار .

أورد النرشخي رواية يختلط فيها الجد بالهزل تفيد بأنه لما عرف الجند العرب بخروج المهلب فر فريق منهم وعارضوا سلم بن زياد متهمين اياه بأنه قد اخرجه ليحظى دونهم بغنائم عظيمة ، وبادر مئات بالخروج في اثر المهلب في صباح اليوم التالي جشعا وطمعا ، لكن الترك بزعامة بيدون أوقعوا بهم ، وقتلوا منهم اربعمائه (١٢١) ، ولجا من لاذ بالفرار وتابعهم بيدون ، فعبر النهر حيث انضم إليه أمير الختن(١٢٢) ، والتقي بالمهلب في معركة حامية الوطيس ، فاستصرخ المهلب مسلم بن زياد الذي أدرك حاجة المهلب إلى المساعدة ، (فكان عبد الله بن خودان آنذاك ماثلا أمام مسلم صامتا ، فقال مسلم ، ماذا حدث حتى لاتتكلم ، فقال والله لو لم يخش المهلب الهلاك لما صاح ، فلأركب وأعمل ما على ، فاذا هلكت فاني راضى .... وفي أثناء هذا طلب مسلم الخوان وأكل ، فقال عبد الله خوذان أي وقت طعام هذا ما أشبعك؟.. لقد هلكت دون أن تدرى ، ولم تكن رجل حرب ، فقال مسلم وما التدبير الآن قال مر الفرسان أن يترجلوا ويذهبوا إلى ساحة الوغا ...)(١٢٣).

هذه الرواية التي أوردها النرشخي واسلفنا الإشارة إليها لا أصل لها فيما سبق من نصوص واردة في كتابات من سبق النرشخي ممن أرخوا لهذه الأحداث ، فضلا عن أن النرشخي لم يذكر السند الذي استقى منه مادته الأمر الذي يعكس لنا ذلك الاضطراب الذي صيغت به هذه الرواية ، إذ ليس من المعقول أن يكون مسلم بن زياد من غير رجال الحرب وهو أول من قهر الطبيعة وبدأ المجاهدون العرب في ظل قيادته

يألفون هذه الأجواء ، كما أنه ليس من المعقول - أيضا - أن يخرج المئات من جند العرب في أثر المهلب دون إذن من قائدهم للحيلولة دون أن يغتنم المهلب القسط الموفور من الغنائم وكأن الجند العرب افتقروا إلى القيادة، وإلى التنظيم في وقت يؤكد فيه الطبري بروايات مسندة سنداصحيحا لذلك الحدث ، على أن هؤلاء الناس الذين تصفهم رواية النرشخي بالجشع كانوا يتنافسون قبل نزوحهم من البصرة لتثبيت اسمائهم في الديوان طلبا للجهاد في أرض الترك حينما أزمع سلم الاعداد والمسير إليها (١٢٤) ، وتبدو الرواية وكأنها تخاطب العقول الساذجة فتصف قائد الحملة العربية بذلك الرجل الذي ولع باشباع بطنه دون أن يلتفت إلى قائده الذي استغاثه لينقذه مما هو فيه من شدة بأس العدو (١٢٥).

مثل هذه الرواية الضعيفة افادت كثيرا وجهة النظر الأوروبية ، إذ اعتمد عليها المستشرق فامبرى في سفره الذي جعله بعنوان " تاريخ بخارى منذ أقدم العصور حتى العصر الحاضر " ، ولا يخفى علينا المنهج الذي استند إليه غالبية المستشرقين جريا وراء نظره أحادية تلصق بالعرب ومسلمي صدر الإسلام التهم ، وتصفهم بالغزاة الحافلين بالسلب والنهب ، والحق أن فامبرى لم يعمد إلى طرح الروايات المسندة الصحيحة الواردة في المصادر العربيةواكتفى بالاستناد إلى ما أورده النرشخي ، وبنى عليها نتائجه (١٢٦)، وإذا كان هؤلاء يميلون إلى الموضوعية فإن الرأي الصحيح يقول بأنه حتى اذا كان هناك حالة انفرادية تنطوي على الجشع والفظاظة انفرد بها شخص دون سائر أقرانه فانه لاينبغي تعميم صفات تلك الحالة على الجمع بأسره .

ومما يؤكد بطلان هذه الرواية أن سلم بن زياد كان يؤدي دوره كقائد ، فجاس النواحي البخارية ، ويذكر البلاذرى (١٢٧) ، أنه أرسل جيشا وهو بالصغد لفتح خجندة ، ولما اخفق في مهمته عول على المسير إلى مرو ثم عاد منها بجيش كثيف إلى بخارى وأمد المهلب الذي كان على نهر خرقان رود بجمع كبير منه تحت إمرة عبدالله ابن خودان ، وانتهى الأمر بأن دارت الدائرة على الترك ، وقتل زعيمهم بيدون، وغنم المسلمون مغانم كثيرة (١٢٨) ، ولم تر الخاتون بدا من طلب الصلح، فصالحها سلم .

ولما انتهى سلم بن زياد من أمر خاتون بخارى بالمصالحة سار إلى سمرقند لفتحها، وقيل أن زوجته شاركته في هذه الحملة، وكانت أول عربية عبر بها النهر(١٢٩)، الأمر الذي يكشف عن خروج نساء أخريات خلف أزواجهن ضمن ما خرج من العناصر إلى تلك النواحي، ويبدو من الإشارات التي أوردها البلاذري والطبرى أن تلك الحملة لم تجد مقاومة من الصغد، حيث ارتاد العرب هذه الأماكن وكأنهم في نزهة دون أن يثيروا الفزع بين الأهلين، بدليل أن سلم بن زياد ظل ماكثا في سمرقند بعض الوقت، وبلغ به الأمر أن بادل صاحب سمرقند الود، وكان أن تعارفت زوجته على زوجة هذا الأخير مما أوجد اندماجا بين الاثنتين كان على أثره أن تقدمت امرأة صاحب الصغد بتاجها الذهبي هدية لزوجة القائد العربي (١٣٠).

ومهما يكن من أمر، فقد أبلى سلم بن زياد بلاء حسناً في اخضاع جموع الترك فيما وراء النهر حيث بخارى وسمرقند ولكن إلى حين، ذلك أن العرب كانوا حتى ذلك الوقت قد اعتادوا على أرسال الحملات الخاطفة انطلاقا من خراسان والعودة إليها ولو أنهم تحولوا من الغارات الثغرية إلى الفتح المنظم لكان لأعمال سلم بن زياد شأن آخر، وتؤكد الوثائق الصينية أن التحول العربي الجديد في بلاد ماوراء النهر قد تجلى في جهود سلم بن زياد العسكرية بهذه النواحي، ففي كتاب بعث به حاكم سمرقند إلى امبراطور الصين سنة ٧١٨م ينوه فيه بذلك التحول في الاغارات والغزو، ويذكر أن بداية الصراع مع العرب كانت منذ خمسة وثلاثين عاما مشيرا إلى جهود سلم بن زياد(١٣١).

اعتزل سلم الولاية بعد وفاة يزيد بن معاوية، وكان أن مهد لعبد الله بن خازم بولاية خراسان عند منصرفه منها، فكتب له عهداً وأعانه بمائة ألف درهم، فظل عنيها زمن فتنة ابن الزبير، ثم انشغل بالخارجين عليه فترة قصيرة الأجل، ووجدت الترك في ذلك كله فرصة فأغارت على خراسان، لكن سرعان ما تخلص ابن خازم من معارضيه (١٣٢).

وكان من ابن خازم أن حارب بنى تميم، فأمر ابنه موسى بترك مرو على أن يعول المسير صوب ماوراء النهر ليحول دون منازعة بنى تميم، واستطلاع مابهذه النواحي من

أحوال توطئة لجهود أخرى لاحقه (١٣٣).

سار موسى بن عبدالله بن خازم من مرو في مائتين وعشرين (١٣٤) رجلا صوب جيحون ، وفي الطريق انضم إليه جمع من الصعاليق وآخر من عرب بني سليم، حتى إذا بلغ جيحون عبره ووافي بخارى بعد أن كثر جمعه (١٣٥)، فأتى صاحبها الذي أوجس منه خيفة واسترضاه بأن قدم له صلة ودواب وكسوة ، ومالبث موسى أن ارتاد مدينة بخارى يتعرف على ساكنيها ، وبلغ به الأمر أن نزل عند دهقان نوفان من بخارى ، حيث أقام أشهرا، لكن البخاريين أبدوا خوفا وهلعا من وجوده بينهم ، مما اضطره إلى المسير إلى سمرقند (١٣٦) . وأقام بهاحيث عامله طرخونها بما ينطوي على الود واللين ، فأنزله منزلا كريما ، وسرعان ما اخترق موسى بن عبد الله نواحي سمرقند ، فدخل كش في سبعمائة رجل ، فاستصرخ صاحبها طرخون سمرقند ، وما لبث موسى أن خادعه بحيلة ارغمت الطرخون على ترك صاحبه ، وتيسر الطريق أمامه للوصول إلى صاحب الترمذ الذي رحب به ، فبادله موسى المودة ، وانتهى الأمر بأن استوطن الأخير وصحبه منزلا كريما ، وقيل أن موسى أبدى أعجابه بهذا المنزل قائلا (فلست بخارج منه حتى يكون بيتي أو قبري)(١٣٧).

غير أن الترك في الترمذ عارضوا موسى وحاربوه ، لكن موسى انتصر عليهم واستولى على مدينتهم ، وسرعان ما كثر جمعه بعد أن انضم إليه نفر كبير من جند أبيه (١٣٨)، وحكى الطبري (١٣٩) أن الخلاف سرعان ما وقع بين العرب مما دعا الخراسانيين إلى طلب والٍ جديد من الخليفة عبد الملك بن مروان ، فولى هذا الأخير أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد بن أبي العيص خراسان (١٤٠) ، الذي أسند إلى بكير بن وشاح مهمة المسير لفتح ماوراء النهر بينما بادر هو بالمسير إلى بخارى توطئة لارتياد المنطقة التي تمتد على نهر جيحون طلبا لاستحضار موسى بن عبد الله بالترمذ ، ولما أدرك الترك في الترمذ أن موسى بن عبد الله يواجه معارضة من بنى جنسه استصرخوا الترك فيما وراء النهر لنصرة أمية للخلاص من موسى وصحبه وهكذا ، وبث أمية رجلا من خزاعة في جمع كبير ، وانضم إليه الترك وأهل الترمذ ، لكن موسى حاربهم بشدة ثلاثة أشهر ويبدو أن موسى بن عبدالله قد استنصر بكيربن

وشاح (١٤١)، بعد أن دبت الوقيعة بينه وبين والى خراسان أمية بن عبدالله الأمر الذي دفع بهذا الأخير إلى مصالحة أهل بخارى رغبة في مواجهة ذلك التحالف الذي طرأ فجأة بين خصميه ، غير أن موسى سرعان ما تغلب على خصومه الترك ثم استعمل الحيلة في الايقاع بالقائد الخزاعى ، وانتهى الأمر بقتله (١٤٢)، وتفرق جمعه حيث لجأ نفر من هذا الجمع إلى موسى بالترمذ مستأمنا ، وقطع البعض الآخر جيحون صوب خراسان (١٤٣).

وفي ولاية المهلب بن أبي صفرة(١٤٤) ، سار حبيب بن المهلب على رأس جيش كبير قاصدا بخارى فبلغها ، ووافي صاحبها ، غير أنه عول على اخضاع جمع من الترك ، وكان من أثر هذه المعارك أن أصيبت بعض قرى بخارى بالحرائق ، فسميت بالمحترقة ، ومالبث أن عاد حبيب إلى كش بنواحى سمرقند حيث كان أبوه(١٤٥).

ولايخفى علينا أن النزاع بين القيسية واليمنية زمن بنى أمية قد شغل العرب والخلافة الإسلامية مما أسهم في عرقلة الجهود العربية في ميدان الجهاد ، وأورد الطبرى أنه لما تولى المهلب بن أبي صفره خراسان بدلا من أمية بن عبدالله عامل موسى بن عبدالله بن خازم بما ينطوى على الحذر دون أن يقتله حتى لا يفتتن به الناس ، ويتجلى ذلك في قول المهلب لابنيه (اياكم وموسى فانكم لاتزالون ولاة هذا الثغر(١٤٦) ما أقام هذا الثط (١٤٧) بمكانه (١٤٨) ، فان قتل كان أول طالع عليكم أميرا على خراسان رجل من قيس)(١٤٩)، كما اضطر المهلب ازاء هذا النزاع إلى مصالحةالترك ناحية كش من سمرقند (١٥٠) ، ولم ير غضاضة من مهادنة موسى، فأبقى عليه بالترمذ ، وظل على تلك الحال حتى لقى ربه دون أن يقاتله ، وخلفه ابنه يزيد بن المهلب (٨٣-٨٥ هـ / ٧٠١ - ٧٠٤م)(١٥١).

ظلت الفتنة بين القيادات العربية في خراسان وماوراء النهر قائمة وانشغل بها الترك في بخارى وطرخون سمرقند ، حيث انضموا إلى ثابت بن قطبة الخزاعي الذي عول على استرضاء موسى بن عبدالله والانضمام إليه ، وقيل عن ثابت أنه كان محببا للعجم ، وسرعان ما انضم إلى موسى جمع قدره ثمانية آلاف من اليمنية ، وآخرون من

بني تميم وربيعة وقيس بعد أن خرجوا على طاعة يزيد بن المهلب ، واستنهض ذلك الجمع بقيادة ثابت موسى بن عبدالله بالخروج من الترمذ والعودة إلى خراسان لعزل يزيد مدفوعين بتشجيع من ترك بخارى وسمرقند الذين آتوا الترمذ تدعيما له ، لكن أصحاب موسى ذهبوا إلى القول بعدم عزل يزيد بن المهلب عن خراسان ، فوافقهم موسى الذي أقنع ثابتا بأن يخرج من كان من عمال يزيد فيما وراء النهر حتى تكون هذه النواحي خالصة لهم دون أن ينازعهم أحد ، وتم له ما أراد ، وسرعان ما عاد أهل بخارى وطرخون سمرقند من حيث أتوا (١٥٢) ، غير أن موسى قد زين له أصحابه قتل ثابت الذي فاقه وصار بيده التدبير (١٥٣) ، وبينما أخذ هؤلاء العدة للخلاص من ثابت خرج جمع كثيف من ترك الترمذ (١٥٤) لقتال المسلمين مدفوعين بذلك الخلاف الذي وقع بين العرب ، لكن المسلمين أوقعوا بهم ، وانتصروا عليهم ، أما ثابت فقد اعانه أهل بخارى والترك ، فكثر جمعه فوجه إليه موسى يزيد بن هزيل ، فأدركه على نهر الصغانيان حيث أوقع به وقتله (١٥٥).

استبد موسى بن عبد الله بأمر ماوراء النهر خمسة عشر عاما حتى اذا ولى المفضل بن المهلب خراسان سنة ٨٥ هـ (١٥٦) ، عول على المسير إلى الترمذ بعد أن أعانة الترك ولما بلغها وجه عثمان بن سعود في خمسة عشر الفا إلى حيث يقيم موسى ، وهناك أوقع جند عثمان بموسى وقتلوه (١٥٧).

يتضح لنا مما تقدم أن أهل بخارى شأنهم في ذلك شأن سائر الترك قد وجدوا في الخلافات الناشئة بين القيادات العربية في خراسان وامتداد جيحون فرصة للايقاع بموسى بن عبدالله بن خازم ، ويزيد بن المهلب في آن واحد للحيلولة دون أن يكون لبني أمية شأن في بلادهم الأمر الذي أخفقوا فيه ، ذلك أن الأمويين استردوا نفوذهم بعد أن دخل المفضل بن المهلب الترمذ ، ومما لاشك فيه أن الأمويين حققوا بعض النجاح إبان تلك المرحلة حيث وقفوا على أحوال البيئة ، وألفوا القتال في الشتاء الأمر الذي مهد لمرحلة جهادية لاحقة ناجحة .

والأمر الجدير بالاعتبار أن كثرة عدد الترك في بخارى وغيرها من نواحي الترك لم يكن لها فعالية في مدافعة الغارات العربية على الرغم من محدودية النشاط

العسكري للجند العرب وقلة أعدادهم ، وبلغ الأمر ببعض القيادات العربية أن مكثت فترة زمنية طويلة بين ظهراني الترك دون أن يصيبهم مكروه سوى مارقع بينهم من خلافات عصبية أسهمت إلى حد كبير في العمل بالغارات الثغرية دون أن يكون لهم فتح منظم ، أما الترك في بخارى وغيرها من المدن فإن الضعف فيهم يعكسه تصرفات الملوك ، والفجوة العميقة بين شرائح المجتمع - وبالذات في بخارى - وأفاد العرب من ذلك كله ابان تلك الحملات الخاطفة في صور تمهيدية للوصول إلى مرحلة الغزو المنظم .

قدوم قتيبة بن مسلم الباهلي، واتمام الفتح (١٥٨):

أفاد العرب من الحملات التمهيدية التي شنوها علي بلاد الترك لما لها من النتائج التي دفعت بهم في وقت لاحق إلى اقتحام المعابر والحواجز فيما وراء النهر دون أن يروع لهم سرب ، وبالذات في عهد الخليفة الوليد بن عبد الملك الذي في عهده توافرت لبني أمية عوامل الاستقرار فضلا عن أسباب القوة بعد أن وطدوا نفوذهم في الداخل باخضاعهم الحركات السياسية والدينية ، وانطلقوا نحو الجهاد استكمالا للفتوحات العربية في السند (١٥٩) والمغرب (١٦٠) والاندلس (١٦١) الأمر الذي كان من شأنه أن يتحول النشاط العربي في ميدان الجهاد إلى خراسان ، فقد استطاعت الدولة الأموية أن تحشد في خراسان قوات عربية لم يكن في مكنتها أن تحشدها من قبل (١٦٢) .

ويتجلى لنا الجديد في حقيقة الاستعدادات العسكرية العربية في خراسان فيما أقدم عليه الأمويون في ولاية قتيبة بن مسلم الباهلي (٨٦-٩٦ هـ) (١٦٣)، إذ اهتموا بتنظيم الجيوش ، ورحبوا بمن يرغب في الانضمام إلى صفوف المقاتلة العرب من الترك ، ووظفوا ما كان بين أمراء الترك من خصومات في خدمة الجهاد ، وبدأوا الفتح الحقيقي لاقليم ماوراء النهر .

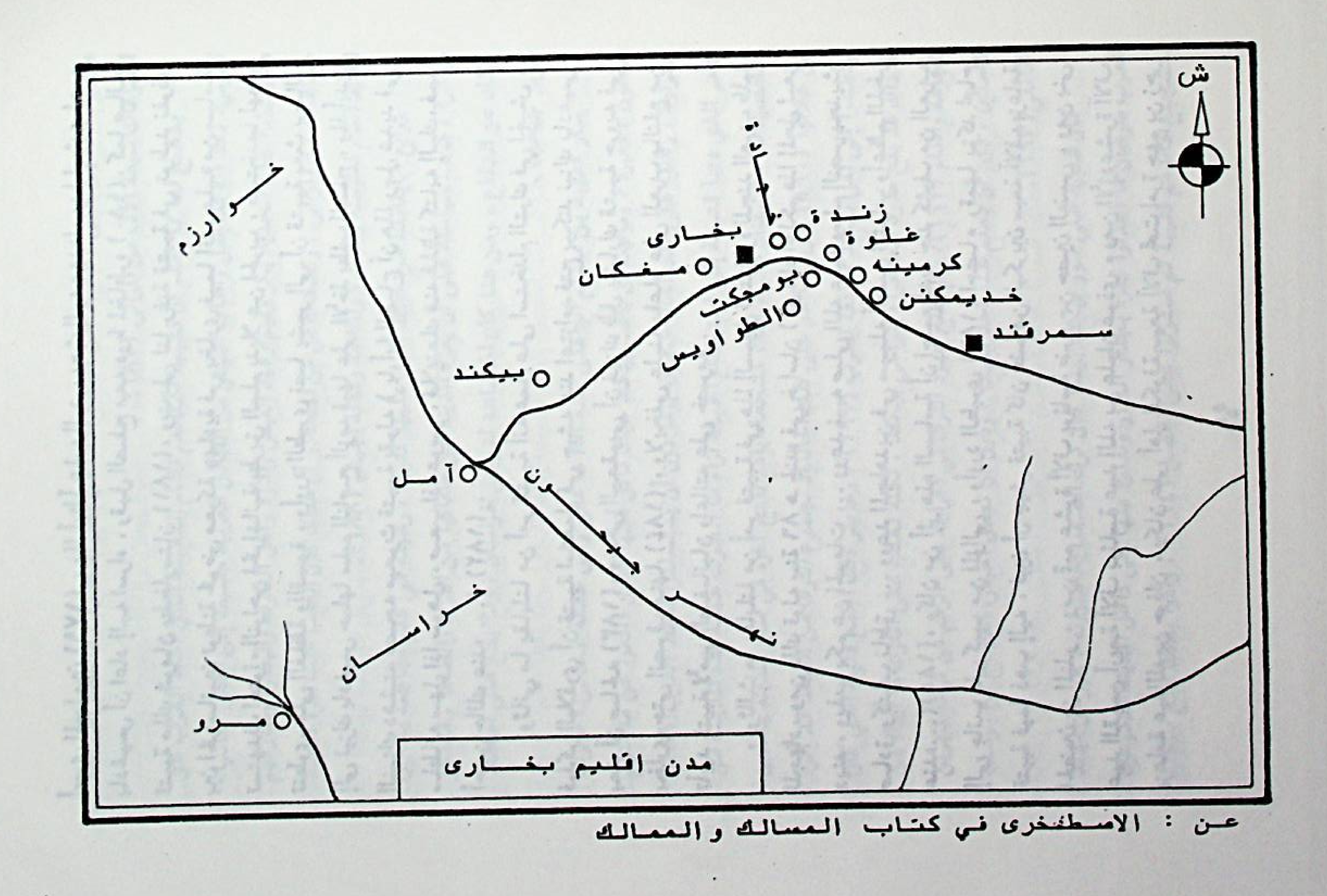
سار قتيبة بن مسلم إلى خراسان (١٦٤)حيث أخذ يوطد نفوذه فيها . فتخلص من المهالبة بأن بعث بالمفضل بن المهلب ومن معه إلى الحجاج بن يوسف

الثقفي (١٦٥) ، واتخذ من مرو نقطة الانطلاق وخطب في الناس ، وحثهم على الجهاد ، ثم أخذ يستقصي أخبار جنده (١٦٦)، وجعل على مرو عاملين واحد على صلاتها وآخر للخراج (١٦٧) ومالبث أن اخضع سائر المدن الخراسانية ، وأخذت طخارستان حظا كبيرا من نشاطه في هذا السبيل (١٦٨) ، وارتاد الطريق الممتد مابين طخارستان وبلخ (١٦٩) ، ولما بلغ الطلقان آتاه أهل بلخ دهاقينها وعظماؤها مرحبين ، فساروا في ركابه مما شجعه على المضى قدما حتى بلغ بلخ(١٧٠)التي لامفر من السيطرة عليها سيطرة تامة توطئة لفتح بلاد ماوراء النهر، فظل بها فترة حتى اخضع بعض الذين انتفضوا (١٧١).

لم يعد هناك صعوبة أمام قتيبة تحول دون عبوره جيحون ، بل إن ماكان بين أمراء الترك إذ ذاك من وقائع يسر عليه طريق النجاح ، إذ سرعان ما قطع النهر حيث أتى إليه ملك الصغانيان مرحبا ومستنصرا إياه على اعدائه ملوك طخارستان المجاورين (١٧٢) ، وانتهى الأمر بأن ملك قتيبة الصغانيان ، ومالبث أن عاد إلى مرو حيث أخذ يعد العدة لفتح بخارى وبدأ مشروعه الجهادي الكبير هذا بفتح بيكند(١٧٣).

احتلت بيكند مكانة مرموقة بين سائر المدن في ماوراء النهرلأهميتها الجغرافية والاستراتيجية، فهي تمثل اقرب مدن بخارى للفاتحين العرب (١٧٤) ، فضلا عن كونها الباب الجنوبي الغربي لهذه البلاد ، لذا لم يكن غريبا أن يحرص الترك في بخارى على تحصينها ، فأحاطوها بسور منيع وحصنوها ، واهتموا باستحكاماتها(١٧٥)، ومما زاد من عناية الأهلين بتحصينها رواج التجارة فيها ، وثراء أهلها ، ومعابد الأصنام التي بها (١٧٦)، لذا عرفت بالمدينة الصغرية (شهرستان روين) .

أعد قتيبة بن مسلم لفتح بيكند عدته قبل أن ينهض بالمسير إليها، وأول مايلفت انتباهنا في شأن ماقام به في هذا السبيل أنه ذهب إلى الاكثار من عدد جنده، فراسل نيزك (١٧٧) ، أمير بادغيس (١٧٨) مطالبا اياه باعادة مافي حوزته من



عن : الاصطخرى في كتاب المسالك والممالك

أسرى المسلمين (١٧٩) ، ولما أبطأ عليه الرد ، بعث إليه مهددا، وما لبث صاحب بادغيس أن اعاد إليه اسراه ، وقبل الصلح معه درءا لمخاطره (١٨٠)، كما صالح قتيبة ملك شومان بطخارستان (١٨١)، ويتجلى لنا رغبة قتيبة في توطيد نفوذه بين الخراسانيين توطئة لخوض معركة جهادية في بخارى فيما اقدم عليه من سياسة تستهدف احتواء النواحي الخراسانية بطريق السلم بديلا عن الحرب ، مستخدما لهجة تنطوي على الغلظة والقسوة ، وأورد الطبرى نصا يشير إلى أن قتيبة بعث برسالة إلى نيزك بادغيس حملها سليم الناصح ألزمه فيها على الأخذ بطلب الصلح ، ولما أبدى النيزك دهشته نصحه مبعوث قتيبة بقوله (يا أبا الهياج أن هذا رجل شديد في سلطانه سهل اذا سوهل ، صعب اذا عوسر ، فلايمنعك منه غلظة كتابه إليك، فما أحسن حالك عنده ...) (١٨٢) .

وثاني ما يقابلنا من أمر قتيبة أنه عمل على استخدام الترك في الجيش ، فيذكر البلاذرى أن قتيبة استعمل في جيشه عند اعتزامه فتح بيكند نيزك بادغيس بعد أن صالحه (١٨٣)، وحكى اليعقوبي أن نيزك ظل يشارك قتيبة حروبه في بخارى حتى انصرف منها (١٨٤) ، ولايخفى علينا ماعاد على العرب بالنفع من تأييد قتيبة لأمير الصغانيان واعانته على خصومه .

وثالث ما يقابلنا من أمر قتيبة في هذا السبيل استنفاره للجند العرب طلبا للجهاد، ومن ذلك قوله سنة ٨٦ هـ لجنده في خراسان (ان الله احلكم هذا المحل ليعز دينه ، ويذب بكم عن الحرمات ... ووعد نبيه صلى الله عليه وسلم النصر بحديث صادق وكتاب ناطق ... ووعد المجاهدين في سبيله أحسن الثواب وأعظم الذخر عنده...)(١٨٥)، وكان من أثر هذه السياسة أن اجتمع لديه جند كثيف من العرب إلى جانب نفر كبير من الموالى ، وأورد الطبرى (١٨٦) احصاء رقميا يؤكد نجاح قتيبة فيما ذهب إليه ، فبين أن جيش قتيبة كان يضم من البكريين سبعة آلاف بزعامة الحضين بن المنذر ، ومن تميم عشرة آلاف برئاسة ضرار بن حصين الضبى ، ومن بنى عبد القيس أربعة آلاف برئاسة عبد الله بن علوان عوذى ، ومن الأزدعشرة آلاف بزعامة عبدالله بن حوذان ، وكان على أهل الكوفة سبعة آلاف تحت امرة جهم بن زحر

وعبيد الله بن على ، فضلا عن تسعة آلاف من أهل البصرة ، وانضم إلى هذه الجماعات سبعة آلاف من الموالى (١٨٧).

يتضح لنا مما تقدم أن قتيبة استخدم نظام التعبئة الذي أخذه العرب عن الفرس، ذلك أنه قد جعل وحدات الجيش من القبائل العربية مقسمه إلى خمس كتائب، وكان يشكلها بالتحديد بكر وتميم وعبد القيس والأزد وأهل الكوفه والبصرة وشاركهم جماعات من الموالى ، ونستخلص من المصادر أن هناك كان القلب تحت امرة قتيبة القائد العام فالميمنة والميسرة والمقدمة وساقة الجيش (١٨٨).

ورابع مايقابلنا من خطط أقبل عليها قتيبة ، رغبته في عدم مهاجمة بخارى مباشرة ، فرسم سياسته على أن يعزل المدينة عن حلفائها من الترك والصغد ، فتعجز بذلك عن الدفاع ، ومن هنا كان اخضاعه لنواحى خراسان ، وما يقع على امتداد طريق جيحون .

سار قتيبة بن مسلم الباهلى سنة ٨٨ هـ على رأس حملة عسكرية صوب جيحون ، فعبره ، ومالبث أن باغت بيكند حيث قاتل أهلها الذين دافعوا عن مدينتهم بضراوة ، وظلوا على تلك الحال خمسين يوما دون أن يستسلموا للجند العرب(١٨٩) الأمر الذي دعا قتيبة إلى استخدام الحيلة ازاء ما انطوت عليه هذه المدينة من التحصينات ، فاستنفر قتيبة جنده مشجعا اياهم لفتح ثغرة في سور المدينة ينفذون من خلالها (١٩٠) ، وبينما هو على تلك الحال إذ بجموع الترك من الصغد قد أُتوا لينضموا إلى اهل بيكند مدافعة للعرب (١٩١) ، وحاصر ذلك الجمع قتيبة الذي كان إذ ذاك قد بلغ حدود الصحراء بنواحي بيكند ، لكنه تغلب على الترك لما أبداه من شجاعة وإقدام (١٩٢)، ولم تفلح جهود الترك في احراجه على الرغم من ثباته شهرين كاملين ، دون أن يعلم عنه أحد شيئا ، ودون أن تصل أخباره الحجاج بن يوسف الثقفي(١٩٣).

كان قتيبة على سور بيكند بينما كان ترك الصغد يحاصرونه ، غير أن الجند العرب سرعان ما احدثوا ثغرة بجدار السور ونفذوا منها إلى داخل المدينة مدفوعين بتشجيع قائدهم قتيبة ثم استولوا على الحصن (١٩٤) ، وأتموا بذلك فتح بيكند

عنوة (١٩٥) ، غير أن قتيبة أعطى أهل بيكند الأمان وصالحهم على الجزية، واستخلف عليهم ورقاء بن نصر الباهلى ، ميمما وجهه شطر بخارى ، لكن أهل بيكند، شقوا عصا الطاعة ، وقتلوا ورقاء ، فعاد قتيبة إليهم وأخضعهم (١٩٦).

وكان أن غنم المسلمون مغانم عظيمة من بيكند ، وحول هذه الجزئية ، أورد النرشخي رواية بحاجة إلي مراجعة ، فقد بين عند حديثه عن هذه الغنائم أن قتيبة أخرب المدينة كلها ، وصارت خاوية بحيث لم يبق بها أحد ، ولما عاد أهلها التجار من بلاد الصين عمروها وفي ذلك يذكر (بأنه لم تكن مدينة تخربت كلها وبقيت خاوية ثم عمرت سريعا على يد أهلها أنفسهم إلا بيكند)(١٩٧)، في حين عارض نفسه في موضع آخر قائلا (ثم بقيت بيكند خرابا سنوات طوالا ...)(١٩٨)، كما أن حديثه عن الغنائم قد جاء في صور صرفت المعنيين بتاريخ بخارى من المؤرخين الأوربيين إلى الحديث عنها ، فهذا فامبرى يركز على قضية الغنائم معتمدا على حديث النرشخي ، بل وأضاف إليه إضافات من عنده دون أن يكون لها أصل في كلام النرشخي ، وهكذا يذكر (أن قتيبة أمر باحراق بيكند ، وقتل كل من بها من البالغين وسبى النساء والأطفال ...)(١٩٩)، وأورد بذلك ظاهرتين لم يرد بشأنهما نص عند النرشخي ، وهما الحرق وقتل كل من بها من البالغين ، بل لم يرد على الاطلاق في المصادر العربية القديمة اشارات تجعلنا نؤيد كلام فامبرى(٢٠٠) ، وكل ما أورده النرشخي أن قتيبة بعد أن صالح بيكند عاد إليهم ازاء خروجهم على طاعته وقتلهم واليه ورقاء بن نصر الباهلى ، فقتل من كان في بيكند من أهل الحرب واسترق من بقي بحيث لم يبق في بيكند أحد ...)(٢٠١).

إذن لم يحدث أن أحرق قتيبة بيكند ، ولم يحدث أن قتل كل بالغيها من الأبناء ، وكل ما في الأمر أنه قاتل أهل الحرب في بيكند ، ووقع الباقون في أسره ، ويتجلى لنا ثائرة فامبرى فيما أورده عن جند قتيبة قائلا (ولنا أن نتصور مبلغ ما كان عليه بدو الصحراء البسطاء من لهفة للاستحواذ على كنوز المغلوبين المكدسة...)(٢٠٢)، الأمر الذي لايتسم بالموضوعية ، فقد كان في جيش قتيبة عدد لابأس به من الموالى(٢٠٣)، وجمع كبير من الأزد اليمنية(٢٠٤)، كما أن العناصر

الأخرى من القيسية التي لاننكر كثرتها قد تقلبت على مدى فترة زمنية سابقة على ذلك الفتح بين ألوان من الحضارة الأمر الذي ينكر على فامبرى تعبيره "بدو الصحراء". ولايخفى علينا أن ما أورده فامبرى من أن أعظم ما كان استهوى العرب من بين هذه الكنوز الأسلحة (٢٠٥) - التى كان أجودها يصنع في آسيا- ينهض دليلا على أن الجهاد ومدافعة الترك كان هو الهدف الذي سعى إليه قتيبة .

وأضيف هنا دليلا آخر على أن قتيبة لم يذهب إلى قتل الأهالي في بيكند ، ذلك أنه حين عاد تجار واثرياء هذه المدينة من الصين طالبوا قتيبة بهؤلاء الأهالي من البالغين الذين وقعوا في أسر العرب واسترقوا ، فوافقهم قتيبة ، وسلمهم ذويهم مقابل مبلغ معين من المال (٢٠٦)، وسرعان ما أقبل هؤلاء على تعمير مدينتهم (٢٠٧)، في ظل تلك السيطرة العربية العسكرية ، وينهض ذلك دليلا - أيضا - على أن العرب وظفوا الاسترقاق لخدمة الفتح بحصولهم على المال مقابل اطلاق سراح اسرى الترك تغطية لنفقاتهم .

ويؤكد ابن الاثير أن(٢٠٨) قتيبة كان قد وافق أهل بيكند لما طلبوا الصلح ، ولما نقضوا هذا الصلح ، قاتلهم ، ودخل المدينة عنوة وقتل من كان بها من المقاتلة ، مبينا أن الجهاد كان يشغل عقله أولا دون أن يهتم بجلب الغنائم ، فأورد مؤيدا كلام الطبرى (٢٠٩) ، وموضحا أن هناك رجلا أعور كان قد استجاش به الترك على جند قتيبة ووقع في اسر العرب ، ولم ير هذا الرجل وسيلة للفرار من قبضة قتيبة إلا ان يعرض عليه فداء سخيا قدره خمسة آلاف حريرة صينية قيمتها ألف ألف درهم(٢١٠)، غير أن قتيبة أنف من النزول عن رأيه ، رافضا عرضه السخي قائلا (ولا والله لايروع بك مسلم أبدا) فأمر به فقتل .

ولايفوتنا هنا في معرض حديثنا عن غنائم الفاتحين في بيكند ، الاشارة إلى أن روايات المصادر العربية تعيننا على فهم السياسة العربية ازاء أهالي البلاد المفتوحة، فقد أشار النرشخي(٢١١) بما يفيد إلى أن بعض الغنائم التي استحوذ عليها العرب الفاتحين لبيكند قد حملت من معابد الأصنام ، ولم يحفل العرب بسلب ما في حوزة الأهالي آنذاك كما أن قتيبة حمل كل ماحصل عليه من المعابد من الذهب

والفضة واللؤلؤ على كثرته إلى الحجاج بن يوسف الثقفي ، ولم يطمع هو وصحبه فيها لتصريفها فيما تدعو إليه هذه السياسة ، كما وضع على تقسيم بقية الغنائم رجلا يدعى عبد الله بن والان العدوى وكان يسميه قتبة الأمين بن الأمين ، لامانته(٢١٢).

قيل أن الغنائم التي أصابها المسلمون في بيكند كانت من الكثرة بحيث فاقت ما اغتنمه المسلمون الفاتحون في خراسان ، وكان من شأن ذلك أن قوى المسلمون بها(٢١٣) ، فاشتروا السلاح والخيل اعدادا لمرحلة قادمة تستهدف فتح بخارى ، وفي ذلك يذكر الطبرى (٢١٤) (وصار في أيدى المسلمين من بيكند شيئا لم يصيبوا مثله بخراسان ، ورجع قتيبة إلى مرو ، وقوى المسلمون فاشتروا السلاح والخيل وجلبت إليهم الدواب ، وتنافسوا في حسن الهيئة والعدة ، وغالوا بالسلاح حتى بلغ الرمح سبعين ...).

عاد قتيبة بن مسلم بعد اخضاعه بيكند إلى مرو حيث أخذ يعد ترتيباته العسكرية لفتح بخارى ، فكتب إلى الحجاج بن يوسف الثقفي والى العراق والمشرق يستأذنه في فتح خزائن السلاح وآلة الحرب لدفعها إلى الجند ، ولما أذن له أخرج (من عدة الحرب وآلة السفر ، فقسمه بين الناس ...)(٢١٥)، ثم خطب في الناس مستنفرا اياهم قائلا لهم (اني اغزيكم قبل أن تحتاجوا إلى حمل الزاد ، وانقلكم(٢١٦) قبل أن تحتاجوا إلى الادفاء) ، وسرعان ما عول المسير إلى مدينة بخارى.

اختلفت رواية الطبرى عما أورده النرشخي في شأن مسير قتيبة بن مسلم إلى مدينة بخارى ، فبينما يؤكد الأول على أن قتيبة عول المسير لفتح هذه المدينة وتوابعها عن طريق آمل زم (٢١٧) ، ومنها إلى بخارى ونواحيها ، يرى النرشخي (٢١٨) أنه واصل السير من بيكند ميمما وجهه شطر خنبون(٢١٩)وتاراب(٢٢٠)، الأمر الذي يحمل على الأخذ بأن قتيبة قد اتجه إلى بخارى رأسا بعد أن فرغ من فتح بيكند دون أن يعود إلى مرو بخراسان .

على أنه من السهل علينا أن نأخذ باشارة الطبرى ، ذلك أن عودة قتيبة إلى

مرو كانت من أجل الإعداد بعد معركة حامية الوطيس خاضها في بيكند ، كما نستخلص من كتابات البلاذري (٢٢١) الذي سبق الطبري في هذا السبيل ان قتيبة بعد اخضاعه بيكند استخلف على مرو اخاه بسار بن مسلم مما يحمل على الترجيح أنه قد عاد إلى مرو ، وأخذ ابن الأثير (٢٢٢) عن البلاذري كلامه مؤيدا له فيما ذهب إليه .

ومهما يكن من أمر فان قتيبة قد مضى بعد اخضاعه بيكند إلى نواحي بخارى الأخرى بعد أن رتب لهذه المرحلة ، فقصد خنبون وتاراب واستولى عليهما (٢٢٣)، ثم عول طريقه صوب نومشكت (٢٢٤) فصالح أهلها (٢٢٥)، ويذكر البلاذري أن قتيبة قد غزا نومشكت وكرمينية في آن واحد قبل فتحه لمدينة بخارى نفسها الأمر الذي لايتفق مع الواقع ، ذلك أن كرمينيه تقع شرقي مدينة بخارى على الطريق الموصل إلى سمرقند (٢٢٦) ، والاتجاه إلى شرقي بخارى صوب الصغد لم يتأت إلا بعد اتمام فتح بخارى ونواحيها .

لما انتهى قتيبة من مصالحة أهالي نومشكت سار إلى راميثن (٢٢٧) ، فصالح أهلها(٢٢٨) ، ويبدو أنه قد بادرهم بقبول الصلح بلا تردد ليحول دون أن ينهضوا لحربه بدافع تحصيناتهم ومناعة مدينتهم لما كانت عليه هذه المدينة من بناء محكم وماحوته من حصن كبير فضلا عما كان لها من عراقة بوصفها مقام ملوك الترك من قديم الأزمان(٢٢٩).

ويبدو أن خضوع راميثن في أيدى العرب قد روع الترك فيما وراء النهر ، فجاءوا من كل صوب وحدب لمدافعة قتيبة حيث تجمعوا فيما بين تاراب وخنبون وراميثن في جمع كثيف ذكر عنه ابن الأثير (٢٣٠) أنه قد بلغ مائتي ألف رجل ، وعلى الرغم مما ينطوى عليه هذا الاحصاء الرقمي من مبالغة شديدة ، فإنه من قبيل الانكار أن تخفى كثرتهم العددية التي لم يشهدها العرب في حرب الترك من قبل ، ذلك أن الترك قد أتوا إلى هذه النواحي من شرق بخارى وبالذات سمرقند وفرغانة(٢٣١)، وانضم إليهم عناصر من الاتراك الشرقيين بزعامة ابن أخت ملك الصين ويدعى "كور نعابون" في جمع من أربعين ألف رجل (٢٣٢) ، فضلا عن

أهالي بخارى الذين ناصروا الملوك في راميثن ووردانة وسائر القرى الأخرى ، وذكر النرشخي (٢٣٣) أن ملوك الترك في بخارى والصغد وفرغانة استأجروا (ابن أخت ملك الصين) بجيشه ليحارب هو في المقدمة على أن يمده بالمدد العسكرى الذي يعينه على العرب ، ولايخفى علينا ما تحمله هذه الاشارة من دلالة تكشف عن ضعف الترك برغم كثرتهم العددية ازاء قوة العرب وقدرتهم القتالية .

ويجدربنا أن نوفق بين الاشارات التي أوردها المؤرخون الطبرى والنرشخي وابن الأثير ، ذلك أنه قد اتفق الأول والأخير على أن جموع الترك زحفوا على قتيبة بعد أن انصرف عن راميثن ففاجأوا المسلمين وقائدهم عبد الرحمن بن مسلم الباهلي(٢٣٤)، الذي كان يبعد إذ ذاك عن أول الجيش بقيادة قتيبة بحوالي ميل ، على حين ذكر النرشخي أن الترك تجمعوا في أواسط قرى بخارى فيما بين تاراب وخنبون وراميثن حيث كان يقيم قتيبة بعسكره ففاجأوه ، وأوقعوا الحيرة والشدة في عسكره ، وتنهض هذه الاشارات بما يعول على أن قتيبة بعد أن فرغ من فتوحاته في هذه النواحى استخلف عليها أخاه عبد الرحمن بن مسلم - الذي اتخذ من راميثن مقرا له - ثم مضى على رأس نفر من جنده استكمالا لفتوحاته ، وبينما هو قد بلغ مسافة ميل بعد تركه لأخيه ، إذ بأخبار جموع الترك التي انطلقت بطبيعة الحال من سمرقند بعد أن استكملت عدتها قد اخذت سبيلها صوب راميثن من بخارى التي تركها قتيبة لتوه مستخلفا اخاه عليها وما جاورها من القرى ، فاستصرخ هذا الأخير أخاه قتيبة الذي بادر بالعودة إليه ، فبلغه حيث كان يقاتل الترك ، فانضم إليه يشد من أزره .

ومن الثابت أن قتيبة آنذاك كان في حرج شديد ازاء كثافة الترك ، وحاجته إلى السلاح (٢٣٥) ، الأمر الذي أجمع عليه المؤرخون الثلاثة ، ومما قيل أن نيزك الترك - الذي كان إذ ذاك يقاتل مع قتيبة - أبلى بلاء حسنا في مدافعه الترك ، فنصر الله قتيبة (٢٣٦).

والحق أن مابذله قتيبة بتأييد من النيزك لم يحقق انتصاراً حاسما على الترك،

ولئن كان النرشخي يؤكد أن قتيبة استخدم الحيلة في فض ذلك الجمع الكثيف من الترك مما يسر عليه أمر فرض السيادة على أواسط بخارى ، فانه قد خلط بين هذه المعركة ، ومعركة أخرى خاضها قتيبة مع الترك في وردانه في العام بعد اللاحق سنة ٩٠هـ ، وتيسر له بذلك فتح مدينة بخارى ، فقد اشار اليعقوبي (٢٣٧) بأن طرخون السغد وبخارا خداة وابن اخت ملك الصين (معانون اللمونسي)(٢٣٨) تحركوا إلى قتيبة بعد فراغه من مواجهتهم بإعانة من النيزك في نواحي بخارى (فكره قتيبة قتالهم ، فوجه حيان النبطي فصالحهم ...) ، وكان حيان النبطي قد أيده قتيبة - فيما اشار النرشخي - في ابتداع حيلة لفض جموع الترك بعد أن عجز عن مواجهة كثير منهم ، الأمر الذي يدلنا على أن قتيبة قد خاض مع ملوك الترك القادمة من شرق بخارى معركتين ، انتصر في الأولى وفض جموعهم في الثانية بطريق الخداع، أما الطبرى(٢٣٩) وابن الأثير (٢٤٠) ، فقد ذهبا بالقول بأن قتيبة بعد فراغه من مؤازرة أخيه عبد الرحمن بتأييد من نيزك الترك عاد إلى مرو ، ثم عاود عبور النهر في العام اللاحق سنة ٨٩ هـ، حيث وطد نفوذه في راميثن ، وما لبث أن عاد إلى مرو، وهناك اتاه كتاب الحجاج بن يوسف الثقفي بأن يفتح وردان ، فسار إليها سنة ٩٠ هـ حيث لقيه جموع الترك، ولما رأى أنه لا قبل له بهم عاود أدراجه مراسلا الحجاج في ذلك، لكن الحجاج أمره بالعودة إليها قائلا (آتها من مكان كذا وكذا ...) ، ولما سار إليها استنصر وردان خداة الصغد والترك من حولهم فأتوه بعد أن بلغه قتيبة ، وفرضوا حصارا على وردان لم ينج العرب منه إلا بعد أن استنفر قتيبة عرب تميم الذين نجحوا في تحطيم الحصار (٢٤١) ،وتقف هذه الاشارات دليلا على أن جموع الترك المهزومة لم تنصرف رأسا من حيث اتت ، ازاء مناصرة نيزك لقتيبة في راميثن وماحولها ، بل هرعت بعد حين إلى وردانه من نواحي بخارى لمناصرة ملكها الذي باغته العرب .

إذن قابل قتيبة جموع الترك القادمة إلى بخارى من جهاتها الشرقية مرتين سنة ٨٨هـ وسنة ٩٠هـ بعد اخضاعه بيكند ونومشكت ، وأحس في المرتين بحرج شديد(٢٤٢) ، وحرجه في الثانية كان أشد بدليل أنه لم ينج من عدوه إلا بافتعال

حيلة أقبل عليها أحد خاصته (٢٤٣).

ويظهر من أمر المعركة الثانية فيما رواه الطبرى أن قتيبة بن مسلم كان يراعى النظام القبلي عند وضعه للخطط قبل بدء المعركة ، فقد أشار إلى الأزد مبينا أنهم كانوا يشكلون قسما في جيش قتيبة عند لقائه بوردان خداة ومحالفيه ، وأنهم قد أبطأوا الأداء في الحرب ، فاستنصر قتيبة على أثر ذلك بنى تميم الذين مثلوا - أيضا- قسما في جيشه (٢٤٤) ، كما كان لكل قسم من هذه الاقسام العسكرية رئيسان ، أحدهما يمثله رئيس القبيلة ، وثانيهما أميرها في الحرب الذي كان يتبع الأول وينفذ أوامره فيما يتلقاه من قتيبة ، ومما قيل في هذا الشأن أن وكيع بن أبي الأسود (٢٤٥) استنهض هزيم بن أبي طحمه المجاشعى قائد بني تميم ، وسلم إليه الراية مشيرا عليه بأن يندفع بخيله بعد أن استصرخه قتيبة ، وأخذ وكيع يشجع جنده من بنى تميم حتى أتى إليه ثمانمائة من جنده فعبروا جسرا خشبيا كان قد أعده لهم على رافد من روافد النهر ، وحملوا على الترك ، وعادوا برءوس بعضهم ، بعد أن أرغموهم على فك الحصار الذي فرضوه من حولهم (٢٤٦) ، ولكن سرعان ما استأنف قتيبة القتال، ولجأ إلى الايقاع بين المتحالفين على نحو ما أشرنا .

ومما يجدر اعتباره أن هذه الحملة الأخيرة تعد علامة بارزة على ذلك التطور الذي طرأ على العسكرية العربية،إذ ساهم في القتال النساء بصورة لم يسبق لها مثيل، فتذكر الرواية أن النساء ضربن وجوه الخيل حين فرض عليهن الحصار،وحينما شعرن بتفوق الترك أخذن يبكين ، وشجعن الرجال على النهوض في وقت كان قتيبة يستنهض هممهم (٢٤٧) مما يدل على ذلك الدور الذي قمن به في استنفار الجند وتحويل الهزيمة إلى نصر .

على كل حال خرج المسلمون بقيادة قتيبة من وردان بعد أن ظفروا بالنصر ، ومالبث قتيبة أن أعد عدته لدخول مدينة بخارى ، إذ أصبح الطريق إليها مفتوحا بعد أن قفل ملوك الترك بجموعهم راجعين من حيث أتوا ، والحديث عن المرحلة هذه بين روايات المؤرخين مضطرب - أيضا . فبينما أغفل البلاذرى (٢٤٨) الحديث عن حصار وردان مكتفيا بالاشارة إلى أن قتيبة فتح بخارى بعد فراغه من بيكند مبينا

أنه قد فتح كرمينية في طريقه إليها الأمر الذي لا نأخذ بصحته - أشار كل من الطبري(٢٤٩) وابن الأثير (٢٥٠) إلى حصار وردان على اعتبار أنه هو نفسه فتح بخارى مما جعل الخلط بائنا ، أما النرشخي (٢٥١) فقد ذكر أن قتيبة بعد أن فك الحصار في وردان (عاد وأصحابه إلى بخارى).

ومما يجدر ذكره أن المعركة في وردان أنقذت المسلمين بحيث خرجوا منها منتصرين علي ما وقعوا فيه من حرج شديد وتيسر لهم بذلك أمر دخول بخارى بلا قتال ، واحتوى المسلمون اقليم بخارى بقراه ومدنه ، مما يؤكد أن الانتصار في وردان يعد حاسما دون أن يخوض المسلمون معارك أخرى من بعد ذلك، ولعل هذه الحقيقة هي التي جعلت الطبري - وعنه أخذ ابن الأثير - يحكى لنا فتح بخارى بأحداث الحصار الذي فرضه الترك في وردان ، وخرج المسلمون منه منتصرين، غير أن هذا كله لايلغى أن هناك مرحلة أخرى لاحقة خاضها العرب تحت امرة قتيبة، وأتموا بها فتح الاقليم كله بدخولهم مدينة بخارى نفسها ، لذا نقر هنا بصحة ما أورده النرشخي من أن قتيبة عول المسير إلى بخارى بعد فراغه من وردان .

ونستخلص من روايات الطبري (٢٥٢) والنرشخي (٢٥٣) أن قتيبة عاد إلى مرو بعد فراغه من وردان وكتب إلى الحجاج بن يوسف الثقفي بالفتح ، وهناك من الأدلة ما يؤيد الاثنين ، ذلك أنه إذا اعتبرنا أن قتيبة عاد بجنده إلى مرو ليأخذ قدرا من الراحة وقضاء الشتاء بها ، الأمر الذي يدعمه قول حيان النبطي لطرخون الصغد اثناء حصار وردان (نحن نستطيع أن نبقى هنا مادام الجو حارا، والجو الآن بارد، وقد آن لنا أن نرحل ...)(٢٥٤) ، كما يمكن القول أن مقاومة الطبيعة مرحلة قد تجاوزها العرب من قبل ، وهاهم آنذاك يقاتلون الترك في وردان فترة قصيرة من الشتاء، فضلا عن أنهم كانوا على يقين من دخول بخارى دون أ ى عناء بعد رحيل ملوك الترك عن أواسط بخارى ومصالحة طرخون الصغد .

ومهما يكن من أمر فقد كانت المرحلة التالية بعد فراغ العرب من وردان هي الزحف على مدينة بخارى وهنا يشير النرشخي أن قتيبة دخل بخارى حينئذ للمرة الرابعة (٢٥٥) ، ويقصد بطبيعة الحال الحملات التي صوبها قتيبة على القرى

والنواحي بإقليم بخارى ، وهي بالتحديد فتوحاته في بيكند وراميثن ووردان ثم دخوله بخارى .

تولت الخاتون - على رواية النرشخي - عرش بخارى خلفا لزوجها ، ولصغر ابنها الأمير بخار خداة (٢٥٦) الأمر الذي لايتفق وعمرها الذي بلغ درجة غير مقبولة(٢٥٧) ، ويعكس ذلك كله احساسا لدى القابض على الحكم في بخارى كائنا من كان بعدم جدوى مقاومة قتيبة (٢٥٨) الذي سرعان ما فاجأ بخارى سنة ٩٠هـ ، وانتهى الأمر بأن فتحت المدينة أبوابها للفاتحين العرب ، فدخلوها ، ويذكر البلاذري(٢٥٩) أن قتيبة فتح بخارى صلحا ، وما لبث أن عنى بالمدينة ، فاشتغل بتنظيمها (٢٦٠) ، وكان أن بذل جهودا موفقة آنذاك في مجال الدعوة إلى الاسلام بوسائل وطرق متعددة .

وكان لدخول بخارى في حوزة المسلمين أثر كبير في استكمال الفتوحات العربية، واحتواء سائر الاقاليم فيما وراء النهر ، فبينما كان قتيبة منشغلا بتنظيم بخارى يرسل نفرا من جنده لاحتواء النواحى على امتداد الطريق إلى سمرقند(٢٦١) ، ومالبث أن صالح ملك سمرقند مجددا معه ما كان بينه وبين العرب من معاهدات قديمة ، و امتد نفوذ العرب إلى وادى جيحون وبلاد الصغد (٩١-٩٣هـ / ٧٠٩-٧١١م) ، ثم اتجهت الحملات العربية إلى اخضاع المقاطعات الواقعة على نهر سيحون ، وكان أن اشرك قتيبة في هذه الحملات قوادا لفتح المناطق النائية بتلك النواحي ، وهكذا ظل الجهاد مستمرا حتى اقترب قتيبة في غزواته من حدود الصين(٢٦٢) .

وصفوة القول أن العرب ظلوا ينشرون الجهاد فيما وراء جيحون حتى أخضعوا اقليم بخارى بقراه ومدنه فيما بين (٨٧هـ - ٩٠ هـ)، حيث احتوى قتيبة بن مسلم هذه النواحي ، ومنها أخذ يواصل حملاته لفتح سائر اقاليم ماوراء النهر .

الهوامـــش

١ - الطبرى : المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ٣٩٤، ٣٩٥.

حول خراسان وأهميتها انظر :

Holt, Lambton , and Bernard Lawis : The Cambridge History of Islam, Vol. IA, P. 87.

٢ - الطبرى : المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ٣٩٤ و٣٩٥.

٣ - الطبرى : المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ٣٩٤ .

٤ - من نواحي خراسان ، وتمثل حاضرة لكورة ، وتجاور طخارستان ، يحسبها الجغرافيون ضمن الاقليم الخامس ، بينها وبين جيحون نهر بلخ على مسافة عشرة فراسخ (الاصطخرى : المصدر نفسه ، ص ٢٧٥- المقدسى: المصدر نفسه، ص ٢٩٥ - ياقوت :المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٤٧٩).

٥ - من نواحي خراسان ، يحيط بشرقيها وغربيها الجبال على مساحة تتراوح مابين فرسخين أو ثلاثة ، ويجرى بداخلها نهر كبير يروى مزارعها (الاصطخري: المصدر نفسه ، ص ٢٦٩).

٦ - الطبرى : المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ٣٩٥ .

٧ - بضم أوله وسكون ثانيه وقيل أن الذي بناها الاسكندر الأكبر ، وتقع في أرض مستوية من نواحي خراسان ، لايحدها الجبال ، وتجري بداخلها الأنهار (الاصطخري : المصدر نفسه ، ص ٢٥٨) .

٨ - الطبرى : المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٣٩٦.

٩ - الطبرى : المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ٣٩٦.

١٠- البلاذري : فتوح البلدان ، ص ٣٩٠.

١١- من نواحي قوهستان إحدى مدن خراسان (الاصطخري : المصدر نفسه ، ص ٢٧٣).

١٢- البلاذرى : المصدر نفسه ، ص ٣٩٠.

١٣- كورة من نواحي خراسان ، وكانت حاضرتها في صدر الإسلام قاين (الاصطخري: المصدر نفسه ، ص ٢٧٣ - المقدسي : المصدر نفسه ، ص ٣٢١).

١٤- الاصطخري : المصدر نفسه ، ص ٢٥٣ .

١٥- البلاذري : المصدر نفسه ، ص ٣٩٠ و ٣٩١.

١٦- البلاذري : المصدر نفسه ، ص ٣٩١.

١٧- بفتح أوله وكسر ثانيه وياء ساكنة وفتح الواو وسكون الراء مدينة بخراسان بين سرخس ونسا (ياقوت الحموى : المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٨٦).

١٨- ياقوت : المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٨٧.

١٩- البلاذري : المصدر نفسه ، ص ٣٩١.

٢٠- من نواحي خراسان ، تقع على امتداد الطريق مابين نيسابور ومرو (ابن خرداذبة : المسالك والممالك ، ص ٣٦ - الاصطخري : المصدر نفسه، ص٢٧٢)

٢١- البلاذري : المصدر نفسه ، ص ٣٩١.

٢٢- البلاذري : المصدر نفسه ، ص ٣٩٢.

٢٣- كورة خراسانية ، حاضرتها هراة ، وتقع بوشنج غربيها في حين تقع بلخ إلى الشمال منها ، وسجستان جنوبها (الاصطخري : المصدر نفسه ، ص ٢٦٤).

٢٤- بفتح الذال وكسر الغين المعجمة وياء ساكنه ، من اعمال هراة بخراسان ، وأصلها بالفارسية باذخيز وتعني هبوب الريح لكثرة الرياح بها (ياقوت الحموى : المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٣١٨).

٢٥- ياقوت : المصدر السابق والصفحة .

٢٦- البلاذري : المصدر نفسه والصفحة .

٢٧- البلاذري : المصدر نفسه ، ص ٣٩٣ ومابعدها ؛ وتشمل ثلاثة معابر، الطريق الذي يربط مرو الشاهجان بطخارستان ، وآخر يربط بين بلخ وطخارستان، وثالث عرف بطريق الصافنيان (ابن خرداذبة المسالك والممالك ، ص ٣٢-٣٩).

٢٨- تقع هذه النواحي الثلاث علي الطريق الممتد من مرو الشاهجان إلى طخارستان (ابن خرداذبة : المصدر نفسه ، ص ٣٢).

٢٩- البلاذري : المصدر نفسه ، ص ٣٩٣ ومابعدها .

٣٠- البلاذري : المصدر نفسه ، ص ٣٩٤ .

٣١- البلاذري : المصدر نفسه ، ص ٣٩٤ .

خطب الأحنف في بنى تميم قائلا (يابنى تميم تحابوا ، وتبادلوا تعتدل اموركم ، وابدءوا بجهاد بطونكم وفروجكم يصلح لكم دينكم ، ولاتغلوا يسلم لكم جهادكم). البلاذري : المصدر نفسه والصفحة .

٣٢- البلاذري : المصدر نفسه ، ص ٣٩٤ - الطبري : المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص٤٤٦.

٣٣- أورد البلاذري حول هذه الجزئية شعرا نظمه ابن الغريزة النهشلي ومن بين ذلك (سقى صوب السحاب إذا استهلت .. مصارع فتية بالجوزجان)، (فتوح البلدان : صفحة ٣٩٤).

٣٤- اوردها ابن خرداذبة هكذا ، في حين أوردها الأصطخري طايقان ، وهي من جملة مدن طخارستان من خراسان ، وتقع على الطريق الذي يربط مرو الشاهجان بطخارستان (ابن خرداذبة : المصدر نفسه ، ص ٣٢- الاصطخري: المصدر نفسه ، ص ٢٧٨ ، ٢٧٩).

٣٥- الطبرى : المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ٤٦٦ .

٣٦- الطبرى : المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ٤٦٧ .

٣٧- حسن محمود : الاسلام في آسيا الوسطى ، ص ١٤٠.

٣٨- المصدر نفسه ، ص ٣٩٤.

٣٩- المصدر نفسه ، ج ٢، ص ٤٦٧.

٤٠- البلاذري : المصدر نفسه ، ص ٣٩٤.

٤١- الطبرى : المصدر نفسه ، ج ٢ ، صفحة ٤٦٧ .

٤٢- الطبرى : المصدر نفسه ، ج ٢ ، صفحة ٤٦٧.

٤٣- البلاذري : المصدر نفسه ، ص ٣٩٥.

٤٤- البلاذري : المصدر نفسه ، ص ٣٩٥.

٤٥- البلاذري : المصدر نفسه ، ص ٣٩٥ ، ٣٩٦ .

٤٦- بفتح الشين وسكون النون من نواحي هراة احدى مدن خراسان (ياقوت : المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٥٠٨).

٤٧- أورد الطبرى بما يفيد أن عزل ابن عامر واستبداله بزياد بن أبي سفيان يرجع إلى عدم اخضاعه سفهاء البصرة عنوة سنة ٤٤هـ (المصدر نفسه : ج ٣ ، ص١٠٨ ، ١٠٩).

٤٨- الطبرى : المصدر نفسه ، ج ٣ ، ص ١١٣.

٤٩- البلاذري : المصدر نفسه ، ص ٣٩٦.

٥٠- البلاذري : المصدر نفسه ، ص ٣٩٦ .

٥١- حسن محمود : المرجع نفسه ، ص ١٤٢ .

٥٢- البلاذري : المصدر نفسه ، ص ٣٩٦ .

٥٣- المصدر نفسه ، ج ٣ ، ص ١٤٥.

٥٤- المصدر السابق والصفحة .

٥٥- المصدر السابق والصفحة .

٥٦- بفتح الهمزة وتشديد الميم وسكون الواو وياء مفتوحه وهاء ، وهي آمل الشط ، وآمل بضم الميم غربي جيحون في طريق القاصد إلى بخارى من مرو (ياقوت: المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٥٨ و ٢٥٥ ، و٢٥٦).

٥٧- البلاذري : المصدر نفسه ، ص ٣٩٧ .

٥٨- فامبرى : المرجع نفسه ، ص ٥٧.

٥٩- ابن قتيبة : المعارف ، ص ٣٤٧.

٦٠- اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ، ج ٢ ، ص ٢٣٦ .

٦١- ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ٤ ، ص ٥٢٨ .

٦٢- البلاذرى : المصدر نفسه ، ص ٣٩٧ .

٦٣- بكسر الميم وسكون الياء ، احدى قرى بخارى (ياقوت : معجم البلدان، ج ٣، ص ١٨ .

٦٤- النرشخي : المصدر نفسه ، ص ٦٢ .

٦٥- حول هذه الجزئية انظر (البلاذري : المصدر نفسه ، ص ٣٩٧ - اليعقوبي : المصدر نفسه ، ص ٢٣٦ - النرشخي : المصدر نفسه ، ص ٦٢) ، على أن الطبرى يشير إلى أن اسمها " قبج خاتون"بوصفها زوجة الامير التركي (تاريخ الأمم والملوك : المجلد الثالث ، صفحة ١٥١).

٦٦- المصدر نفسه ، ص ٣٩٧ .

٦٧- تاريخ اليعقوبي : ج ٢، ص ٢٣٦.

٦٨- المصدر نفسه ، المجلد الثالث ، ص ١٥١ .

٦٩- المصدر نفسه ، ص ٦٢ .

٧٠- لانأخذ بصحة الرأي الذي ذهب إليه كل من البلاذرى والطبرى بالقول بأن عبيد الله بن زياد قد عاد إلى البصرة بعد غزوته لبخارى ، والصحيح أنه ذهب إلى مرو ، ذلك أن الأمر الطبيعي يكون بالعودة إلى خراسان التي كانت إذ ذاك ثغرا تخرج منه الجيوش الفاتحة وتعود إليه . وتجدر الإشارة هنا إلى أن فامبرى قد اشار بعودته إلى مرو (البلاذرى : المصدر نفسه ،ص ٣٩٧ - الطبرى : المصدر نفسه ، ج ٣ ، ص ١٥١ ، فامبرى : المرجع نفسه ، ص ٥٨).

٧١- بلغ عدد الاسرى الذين اقتيدوا عند عودته ألفين ، وكانوا يجيدون الرمى بالنشاب وعرفوا بالبخارية (الطبرى : المصدر نفسه ، ص ١٥١) ، ويذكر النرشخي أن عسكر المسلمين حملوا معهم في العودة سلاحا وثيابا وأدوات ذهبية وفضية فضلا عن اربعة آلاف أسير (المصدر نفسه ، ص ٦٢) .

٧٢- المصدر نفسه ، ص ٦٢ .

٧٣- المرجع نفسه ، ص ٥٨ .

٧٤- الطبرى : المصدر نفسه ، المجلد الثالث ، ص ١٥١ - ياقوت : المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٣٥٣ .

٧٥- ابن قتيبة : المعارف ، ص ٣٤٧ .

٧٦- محمد جمال الدين سرور : الحياة السياسية في الدولة العربية الاسلامية ، ص١٥٤.

٧٧- البلاذري : المصدر نفسه ، ص ٣٩٧ - الطبرى : المصدر نفسه ، ص ١٥١ .

٧٨- حول هذه الجزئية انظر :(اليعقوبي : المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ٢٣٧ - ياقوت : المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٣٥٥) .

وحول سبب توليته خراسان انظر : (الطبرى : المصدر نفسه ، ج٣، ص ١٥٥).

٧٩- كان يشارك سعيد من قواد العرب المهلب بن أبي صفره وأوس بن ثعلبة التميمى وطلحة بن عبد الله بن خلف الخزاعى وربيعة بن عسل احد بنى يربوع (الطبرى : المصدر نفسه ، ج ٣ ، ص ١٥٥).

٨٠- فقد كل من سعيد بن عثمان والمهلب بن أبي صفرة إحدى عينيه في هذه المعركة (البلاذري : المصدر نفسه ، ص ٣٩٧).

٨١- البلاذري : المصدر نفسه ، صفحة ٣٩٧.

٨٢- اليعقوبي : المصدر نفسه ، ج٢ ، ص ٢٣٧ .

٨٣- الطبرى : المصدر نفسه ، ج ٣ ، ص ١٥٥ .

٨٤- النرشخي : المصدر نفسه ، صفحة ٦٣ .

٨٥- النرشخي : المصدر نفسه ، ص ٦٣ .

٨٦- البلاذرى : المصدر نفسه ، ص ٣٩٧ .

٨٧- رُوي هذا الكلام عن أبي عبد الرحمن الجفقي عن عبد الله بن المبارك (البلاذري: المصدر نفسه ، ص ٣٩٦-٣٩٧).

٨٨- صاحب السند هو عبد الله بن المبارك من أصحاب الحديث الذين عدهم ابن قتيبة من الرواه الثقة وقد ولد بمرو سنة ١١٨هـ ، وتوفي بهيت سنة١٨١هـ (ابن قتيبة : المعارف صفحة ٥١١) .

٨٩- على سبيل المثال لا الحصر روى " ان سعيد بن عثمان طلب من الخاتون أن تخرج لتسلم على كبرائه ، ففعلت ، وخرج عبدالله بن خازم ، فأوقد نارا في

خيمته وكان لونه يميل إلى الاحمرار ، فازداد احمرارا من وهج النار ، فلما دنت منه الخاتون وكان يحمل سلاحا فزعت منه وفرت " (النرشخي : المصدر نفسه، ص ٦٤).

٩٠- النرشخي : المصدر نفسه ، ص ٦٥ .

٩١- البلاذري : المصدر نفسه ، ص ٣٩٨ - الطبرى : المصدر نفسه ، ج ٣ ، ص١٥٥.

٩٢- من نظم مالك بن الريب في شأن سعيد بن عثمان :

هبت شمال فريق اسقت ورقا ... واصفر بالقاع بعد الخضرة الشبح

ان الشتاء عدو ما نقاتله .... فاقفل هديت وثوب الدق مطروح

(البلاذري : المصدر نفسه ، ص ٣٩٨ - وحول مالك بن الريب انظر : قتيبة : المعارف ، ص ٥٤٨ .

٩٣- المصدر نفسه ، ص ٣٩٨ .

٩٤- المصدر نفسه ، ص ٢٣٧.

٩٥- المصدر نفسه ، ج ٤ ، ص ١٥٥ .

٩٦- المصدر نفسه ، ص ٢٠٢ .

٩٧- ابن قتيبة : المعارف ، ص ٢٠٢ .

٩٨- البلاذرى : المصدر نفسه ، ص ٢٩٩ - النرشخي : المصدر نفسه ، ص ٦٥.

٩٩- من رجال بني أمية ، وأخو الوليد بن عقبة أخو عثمان بن عفان لأمه (رضى الله عنه)، وأسلم يوم فتح مكة (ابن قيتبة : المعارف ص ٣٢٠).

١٠٠- ومن اشعاره :

ألا أن خير الناس نفسا ووالدا ... سعيد بن عثمان قتيل الأعاجم.

١٠١- نظم مالك بن الريب شعرا في سعيد بن عثمان يقول :

ومازلت يوم الصغد ترعد واقفا ... من الجبن حتى خفت أن تتنصرا

(انظر حول تلك الاشعار البلاذري : المصدر نفسه ، ص ٣٩٩).

١٠٢- البلاذري: المصدر نفسه، ص٣٩٩- ابن الاثير: المصدر نفسه ، ج ٤،ص٩٧.

١٠٣- الطبرى : المصدر نفسه ، ص ٢٣٨

١٠٤- من بين هؤلاء كان المهلب بن أبي صفرة ، وعبد الله بن خازم السلمى ، وعمران بن الفصيل البرجمى وطلحة بن عبدالله بن خلف الخزاعى وحنظلة بن عراده وأبو حزابه الوليد بن نهيك أحد بنى حنظله ويحيى بن يعمر العدواني (الطبرى : ج ٣ ، ص ٢٣٨).

١٠٥- المصدر نفسه ، ج ٣ ، ص ٢٣٨.

١٠٦- يقصد به ديوان الجند الذي كان يختص منذ أن أنشأه الخليفة عمر بن الخطاب بعطاء الجند ، حول هذه الجزئية انظر البلاذري : المصدر نفسه ، صفحة ٢٩٤- الماوردي : الأحكام السلطانية ، ص ١٩١ - ابن خلدون : المقدمة ، صفحة ٤٣٠.

١٠٧- الطبرى : المصدر نفسه ، ج ٣، ص ٢٣٨و٢٣٩.

١٠٨- البلاذري : المصدر نفسه ، ص ٣٩٩ - والطبرى : المصدر نفسه والصفحة .

١٠٩- المصدر نفسه ، ٣٩٩ .

١١٠- المصدر نفسه ، ج ٣ ، ص ٢٣٩ .

١١١- الطبرى : المصدر نفسه ، ج ٣ ، ص ٢٣٩ .

١١٢- المصدر نفسه ، ص ٦٥.

١١٣- المصدر نفسه ، ص ٢٣٩ .

١١٤- الطبرى : المصدر نفسه ، صفحة ٢٣٩ .

١١٥- النرشخي : المصدر نفسه ، ص ٦٥ ومابعدها ، نستخلص من كلام النرشخي ان سلم بن زياد انتقل من خراسان صوب بخارى مباشرة ، والصحيح أنه صالح أهل خوارزم قبل أن يعبر النهر .

١١٦- هو نفس لقب (طرخان) الذي كان يطلق على ملك سمرقند (ابن خرداذبة المصدر نفسه ، ص ٤٠).

١١٧- النرشخي : المصدر نفسه ، ص ٦٦.

١١٨- لقب عرف عند الترك ويطلق على ملك كس من نواحي سمرقند (ابن خرذابه: المصدر نفسه ، صفحة ٤٠).

١١٩- عرفت بالتركستان وهي موطن الأتراك في آسيا الوسطى وتمتد من بحر الخزر غربا إلى حدود التبت ومنغوليا شرقا .

١٢٠- بفتح أوله وتسكين ثانيه ، من قرى سمرقند ، أما خرقان رود ، فهو من أنهار بخاري ويمتد إلى قرى سمرقند (النرشخي : المصدر نفسه ص ٥٢).

١٢١- النرشخي : المصدر نفسه ، ص ٦٦ و ٦٧ .

١٢٢- تقع على ضفاف نهر ختن من روافد نهر تاريم ، وهي مدينة قديمة ومشهورة بالمسك والجمال بالتركستان الشرقية ، وتقع على الطريق الذي يربط بين الصين وآسيا الغربية .

١٢٣- النرشخي : المصدر نفسه ، صفحة ٦٦ ، ٦٧.

١٢٤- المصدر نفسه ، ص ٢٣٨ ، ٢٣٩ .

١٢٥- تلك هي الجزئية الوحيدة لتي لم يأت بها فامبرى ضمن اشاراته لما لها من هزل بطبيعة الحال ، وتجنبا لما قد يطرأ على القارىء من احساس بغير الرضا .

١٢٦- انظر فامبرى - المرجع نفسه ص ٦٠ و ٦١ و ٦٢ .

١٢٧- المصدر نفسه ، ص ٣٩٩ .

١٢٨- النرشخي : المصدر نفسه ، ص ٦٧ .

حكى النرشخي بأنه قد أصاب كل فارس ألفين واربعمائة درهم ، في حين ذكر فامبري الذي اعتمد اعتمادا كاملا على روايات النرشخي بأنه قد خص كل جندي من جنود العرب مايقوم بعشرة آلاف درهم - الأمر الذي لم يذكره النرشخي - دون أن يذكر المصدر الذي استقى منه هذه المعلومات (انظر النرشخي : المصدر نفسه ، ص ٦٧ - فامبرى : المرجع نفسه ، ص ٦١).

١٢٩- البلاذري : المصدر نفسه ، ص ٣٩٩ .

١٣٠- الطبري : المصدر نفسه ، ج ٣ ، ص ٢٣٩ .

١٣١- حسن أحمد محمود : المرجع نفسه ، صفحة ١٤٣.

١٣٢- البلاذري : المصدر نفسه ، ص ٣٩٩ و ٤٠٠ .

يذكر البلاذري أن سليمان بن مرثد عارض قيام عبد الله بن خازم بولاية خراسان من قبل عبدالله بن الزبير ، فقاتله ابن خازم وانتصر عليه وقتله ، ثم باغت اخاه عمر بن مرثد بالطالقان وقتله وسرعان ماسار إلى هراة حيث كان يعسكر اوس بن ثعلبه ، وانتهى الأمر بأن دس له السم ومالبث أن قاتله حتى مات متأثرا بجراحه ، وعين ابن خازن ابنه محمد واليا على هراة وجعل على شرطته بكير بن وشاح ، (وصفت له خراسان) ، كما قاتل معارضيه من بني تميم في مرو وترمذ إلى أن جاءه كتاب الخليفة عبد الملك بن مروان بولايته على خراسان (البلاذري :المصدر نفسه ، ص ٤٠٠و ٤٠١.

١٣٣- الطبرى : المصدر نفسه ، ج ٣ ، ص ٥١١ - ابن الأثير : المصدر نفسه ، ج٤، ص ٥٠٥.

١٣٤- هذا الاحصاء الذي ذكره الطبرى يؤكد أن هذه الحملة عند خروجها كانت تستهدف في الأصل الانتقال إلى ماوراء النهر حيث الملجأ والملاذ من بنى تميم ومعارضي عبد الله بن خازم (الطبرى : المصدر نفسه ، ج ٣ ، ص ٥١١- ابن الأثير : المصدر نفسه ، ج ٤ ، ص ٥٠٦).

١٣٥- الطبرى : المصدر نفسه والصفحة - ابن الأثير: المصدر نفسه، ج٤، ص٥٠٦.

١٣٦- روى الطبرى ذلك عن على بن محمد (المصدر نفسه ، ج ٣ ، ص ٥١٢) ويكنى على بن محمد بأبي الحسن وعرف بالمدائنى وهو على بن محمد بن عبدالله بن ابي سيف ويغلب عليه رواية الاخبار (ابن قتيبة : المعارف ، ص٥٣٨).

١٣٧- الطبرى : المصدر نفسه ، ج ٣ ، ص ٥١٢ .

١٣٨- الطبرى : المصدر نفسه ، ج ٣ ، ص ٥١٢ .

كان أبوه قد مضى من مرو قاصدا الترمذ حيث كان الملاذ ، فخلعه بكيربن وشاح الذي ولاه عبدالملك بن مروان خراسان ، وكان أن التقى بجبر بن وقاء من أعوان بكير بعبد الله بن خازم بالقرب من مرو في معركة قتل فيها

عبدالله على يدى وكيع بن الدورقية (البلاذرى: المصدر نفسه، صفحة ٤٠١ - ابن قتيبة : المصدر نفسه ، صفحة ٤١٨).

١٣٩- المصدر نفسه ، ج ٣ ، ص ٥١٣ .

١٤٠- البلاذري : المصدر نفسه ، صفحة ٤٠٢.

١٤١- كان آنذاك واليا على طخارستان من قبل والى خراسان أمية بن عبد الله (البلاذرى : المصدر نفسه ، ص ٤٠٢).

١٤٢- الطبرى : المصدر نفسه ، ج ٣ ، ص ٥١٣ .

١٤٣- الطبرى : المصدر نفسه ، ج ٣ ، ص ٥١٣ .

١٤٤- ابن الأثير : المصدر نفسه ، ج ٤ ، ص ٤٥٣ ، ٤٥٤ ، ولى خراسان من قبل الحجاج بن يوسف الثقفي سنة ٨٢ هـ بعد أن عزل الخليفة عبد الملك بن مروان أمية بن عبدالله عن خراسان(ابن الأثير : المصدر نفسه ، ج ٤، ص ٤٤٨).

١٤٥- ابن الأثير : المصدر نفسه ، ج ٤ ، ص ٤٥٣ .

١٤٦- يقصد خراسان .

١٤٧- يقصد موسى بن عبد الله بن خازم .

١٤٨- اشارة إلى الترمذ الواقعة على امتداد جيحون .

١٤٩- الطبرى : المصدر نفسه ، ج ٣ ، ص ٥١٤ .

١٥٠- ابن الأثير : المصدر نفسه ، ج ٤ ، صفحة ٤٧٤ .

١٥١- ابن الأثير : المصدر نفسه ، ج ٤ ، ص ٤٧٥.

١٥٢- الطبرى : المصدر نفسه ، ج ٣ ، ص ٥١٤ .

١٥٣- البلاذري : المصدر نفسه ، ص ٤٠٤ - الطبرى : المصدر نفسه والصفحة .

١٥٤- يذكر الطبرى أن سبعين ألفا من الترك خرجوا لقتال المسلمين ويتجلى لنا المبالغة الشديدة فيما ذهبت إليه هذه الرواية (الطبرى: المصدر نفسه، ج٣ ، صفحة ٥١٤ - ابن الاثير : المصدر نفسه ، ج ٤ ، ص ٥٠٩).

١٥٥- قيل انه توفى بعد حادث القتل بسبعة ايام .

١٥٦- ابن الأثير : المصدر نفسه ، ج ٤ ، ص ٥١٢ .

١٥٧- البلاذرى : المصدر نفسه، ص ٤٠٤ و ٤٠٥ - الطبرى : المصدر نفسه ، ج٣، ص ٥١٧ و ٥١٨ وابن الأثير : المصدر نفسه ، ج ٤ ، ص ٥٠٥-٥٠٦.

١٥٨- ويكنى أبا حفص ، وهو قتيبة بن مسلم بن عمرو بن حصين بن أسيد بن زيد ابن قضاعى ، وينتسب إلى بنى هلال بن عمرو ، كما ينتسب إلى بلدة باهلة، وكان ابوه عظيم القدر عند يزيد بن معاوية ، وانجب اربعة عشر ولدا ، من بينهم قتيبة الذي تولى الرى في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان ، وخراسان في عهد الخليفة الوليد بن عبد الملك ، وظل على ولاية خراسان ثلاثة عشر سنة ، فتح خلالها بخارى وسمرقند وخوارزم ، وقتل بعد أن بلغ خمسا واربعين عاما على يدى رجل من بني تميم (ابن قتيبة : المصدر نفسه ، ص٤٠٦ -٤٠٧ - ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج ٤ ، ص ٨٦ - ٨٨) .

١٥٩- ابن الأثير : المصدر نفسه ، ج ٤ ، ص ٥٣٦ - ٥٣٩ .

١٦٠- ابن الأثير : المصدر نفسه ، ج ٤ ، ص ٥٣٩ - ٥٤٠ .

١٦١- اليعقوبي : المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ٢٨٥ - المقرى : نفح الطيب ، ج١، ص ١٠٨-١٢٨.

١٦٢- حسن احمد محمود : المرجع نفسه ، صفحة ١٤٦.

١٦٣- اليعقوبي : المصدر نفسه ، ج٢ ، ص ٢٨٥ و ٢٩٦ - ابن الأثير : المصدر نفسه ، ج ٤ ، ص ٥٢٣.

١٦٤- كان قتيبة عامل الحجاج بن يوسف الثقفي على الرى ، فسار منها حتى قدم مرو بخراسان (اليعقوبي : المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٢٨٥).

١٦٥- اليعقوبي : المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ٢٨٥ .

١٦٦- ابن الأثير : المصدر نفسه ، ج ٤ ، ٥٢٣.

١٦٧- استخلف اياس بن عبد الله على مرو في حين جعل عثمان بن السعدى على خراجها (ا لطبرى : المصدر نفسه ، ج ٣ ، ص ٥٢٤ - ابن الأثير: المصدر نفسه والصفحة).

١٦٨- النرشخي : المصدر نفسه ، صفحة ٦٩ .

١٦٩- حول هذه انظر : ابن خرذابة : المصدر نفسه ، ص ٣٢ و ٣٤ .

١٧٠- الطبري : المصدر نفسه ، ج ٣ ، ص ٥٢٤.

١٧١- فامبري : المرجع نفسه ، ص ٦١ .

١٧٢- يذكرى الطبرى ان ملك الصغانيان قدم لقتيبة الهدايا ومفتاح ذهب ودعاه إلى بلاده ، وكذلك فعل ملك كفتان ، درءا لخطر أميري أخرون وشومان (الطبري: المصدر نفسه ، ج ٣ ، ص ٥٢٤-٥٢٥ - ابن الأثير :المصدر نفسه ، ج ٤ ، ص ٥٢٣).

١٧٣- النرشخي : المصدر نفسه ، ص ٦٩ .

١٧٤- الطبرى : المصدر نفسه ، ج ٣ ، ص ٥٢٧ .

١٧٥- النرشخي : المصدر نفسه ، ص ٦٩ .

١٧٦- النرشخي : المصدر نفسه ، ص ٣٤ .

١٧٧- نيزك من القاب ملوك الترك الصغار (ابن خرداذبة : المصدر نفسه ، صفحة٤١).

١٧٨- بفتح الذال وكسر الغين المعجمة وياء ساكنة ، وسين مهملة ناحية تشتمل على قرى من أعمال هراة ومرو الروذ ، وقيل عنها أنها كانت دارًا للمملكة الهياطلة، وأصلها في الفارسية بادخيز بمعنى الريح لكثرة الرياح بها (ياقوت : المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٣١٨).

١٧٩- ابن الأثير : المصدر نفسه ، ج ٤ ، ص ٥٢٧.

١٨٠- الطبري : المصدر نفسه ، ج ٣ ، ص ٥٢٧ - ابن الأثير : المصدر نفسه والصفحة .

١٨١- الطبرى : المصدر نفسه ، ج ٣ ، ص ٥٢٦.

١٨٢- الطبرى : المصدر نفسه ، ج ٣ ، صفحة ٥٢٧ .

١٨٣- البلاذري : المصدر نفسه ، صفحة ٤٠٦ .

١٨٤- اليعقوبي : المصدر نفسه ، ج٢، ص ٢٨٦ ، الحق أن هذه الاشارات تؤكد سياسة قتيبة ، لكن نيزك لم يكن قد قبل هذه السياسة نزولا على حكم

العرب خشية منهم (اليعقوبي : المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ٢٨٥).

١٨٥- الطبرى : المصدر نفسه ، ج ٣ ، ص ٥٢٤ .

١٨٦- المصدر نفسه ، ج ٣ ، صفحة ٥٦٨ .

١٨٧- الطبرى : المصدر نفسه ، ج ٣ ، ص ٥٦٨ .

١٨٨- الطبرى : المصدر نفسه والصفحة .

١٨٩- النرشخي : المصدر نفسه ، ص ٦٩ .

١٩٠- النرشخي : المصدر نفسه والصفحة.

١٩١- الطبرى : المصدر نفسه ، ج ٣ ، ص ٥٢٧ - ابن الأثير : المصدر نفسه ، ج٤، ص ٥٢٨ .

١٩٢-. فامبرى : المرجع نفسه ، ص ٦٢ .

١٩٣- الطبرى : المصدر نفسه ، ج ٣ ، ص ٥٢٧ - ابن الأثير : المصدر نفسه ، ج٤، ص ٥٢٨ .يذكر كل من الطبرى وابن الأثير أن الرغبة في الجهاد ببلاد الترك كانت محور حياة المسلمين الفاتحين ، ولما أبطأ على قتيبة فتح بيكند مع انقطاع اخباره عن الحجاج بن يوسف الثقفي أشفق هذا الأخير عليه والمسلمين وأمر الناس بالدعاء لهم في المساجد (الطبرى : المصدر نفسه والصفحة - ابن الأثير : المصدر نفسه والصفحة).

١٩٤- النرشخي : المصدر نفسه - ص ٦٩ ، ٧٠ .

١٩٥- البلاذري : المصدر نفسه ، ص ٤٠٦ .

١٩٦- النرشخي : المصدر نفسه ، صفحة ٧٠ .

١٩٧- النرشخي : المصدر نفسه والصفحة .

١٩٨- النرشخي : المصدر نفسه ، ص ٧١ ، على أننا نأخذ بصحة القول الأول ، لأن سياق الأحداث يؤكد أن أهل بيكند كانوا على مدينتهم دون أن يروع لهم أمن ابان عمليات الفتح في نواحي بخارى .

١٩٩- فامبرى : المصدر نفسه ، ص ٦٢ ، الحق أن فامبرى لم يهتم بذكر المصدر الذي استقى منه مادته ، لكن من الواضح تماما أن الروايات التي اعتمد

عليها قد أخذها عن النرشخي .

٢٠٠- أورد الطبرى حديثا عن حرق أحدثه قتيبة مفاده أن قتيبه قد امر بتعليق الفعلة من أهل بيكند على الاخشاب ليكونوا عبرة لغيرهم ، وتم حرق هذه الاخشاب فقط وسقط اربعون من هؤلاء الفعلة قتلى مع هدم الحائط الخشبي المحترق (تاريخ الأمم والملوك ، ج ٣ ، صفحة ٥٢٨).

٢٠١- النرشخي : المصدر نفسه ، ص ٧٠.

٢٠٢- فامبرى : المرجع نفسه ، ص ٦٣.

٢٠٣- الطبرى : المصدر نفسه ، ج ٣ ، ص ٥٦٨ .

٢٠٤- الطبرى : المصدر نفسه والصفحة .

٢٠٥- فامبرى : المرجع نفسه ، ص ٦٣ .

٢٠٦- النرشخي : المصدر نفسه ، ص ٧٠ .

٢٠٧- النرشخي : المصدر نفسه ، ص ٧١ .

٢٠٨- الكامل في التاريخ ، ج ٤ ، صفحة ٥٢٨ ، ٥٢٩ .

٢٠٩- تاريخ الأمم والملوك ، ج ٣ ، صفحة ٥٢٨ .

٢١٠- ورد عند الطبرى خمسة آلاف حريرة صينية ، في حين ذكرها ابن الأثير خمسة آلاف حريرة ، بينما ذكر الاثنان (وقيمتها : ألف ألف) دون ذكر العملة ، وأضفنا الدرهم لأنه العملة الفارسية المعمول بها والمتعارف عليها (راجع : الطبرى وابن الأثير : المصدران والصفحات نفسها).

٢١١- المصدر نفسه ، ص ٧ .

٢١٢- الطبرى : المصدر نفسه ، ج ٣ ، ص ٥٢٨ - ابن الأثير : المصدر نفسه ، ج٤، ص ٥٢٩.

٢١٣- الطبرى : المصدر نفسه ، ج٣، ص ٥٢٨ - ابن الأثير : المصدر نفسه ، ج٤، ص ٥٢٩.

٢١٤- المصدر نفسه والصفحة .

٢١٥- الطبرى : المصدر نفسه ، ج ٣ ، ص ٥٢٨.

٢١٦- وردت عند الطبرى انتقلكم .

٢١٧- بضم الميم واللام مدينة غربي جيحون على امتداد الطريق من مرو إلى بخارى ياقوت : المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٥٨ .

٢١٨- المصدر نفسه ، ص ٧١ .

٢١٩- بفتح أوله ونون ساكنة من قرى بخارى ، وتبعد عن مدينة بخارى بأربعة فراسخ على طريق خراسان (ياقوت : المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ٣٩١) .

٢٢٠- من قرى بخارى وتبعد عنها بثلاثة فراسخ .

٢٢١- المصدر نفسه ، صفحة ٤٠٦ .

٢٢٢- المصدر نفسه ، ج ٤ ، صفحة ٥٣٣ .

٢٢٣- النرشخي : المصدر نفسه ، ص ٧١ .

٢٢٤- أوردها ابن خرداذبة بمجكت (المصدر نفسه ، ص ٢٥).

٢٢٥- الطبرى : المصدر نفسه ، ج ٣ ، ص ٥٢٨ - ابن الأثير : المصدر نفسه : ج٤ ، ص ٥٣٣ .

٢٢٦- الاصطخري : المصدر نفسه ، ص ٣١٦.

٢٢٧- وردت عند المقدسى (اريامیثن) ضمن قرى بخارى (احسن التقاسيم ، صفحة ٣٦٧) واوردها ياقوت (رامیثن) بكسر الميم وسكون الياء ضمن قرى بخارى (معجم البلدان ، ج ٣ ، صفحة ١٨).

٢٢٨- الطبرى : المصدر نفسه ، ج ٣ ، ص ٥٣٠.

٢٢٩- النرشخي : المصدر نفسه ، ص ٣٢ .

٢٣٠- ابن الاثير : المصدر نفسه ، ص ٣٣٠.

٢٣١- الطبرى : المصدر نفسه ، ج ٣ ، ص ٥٣٠ .

٢٣٢- ابن الأثير : المصدر نفسه ، ج٤ ، ص ٥٣٣ .

٢٣٣- المصدر نفسه ، صفحة ٧١ .

٢٣٤- المصادر نفسها والصفحات .

٢٣٥- راجع المصادر نفسها والصفحات .

٢٣٦- الطبرى : المصدر نفسه ، ج ٣ ، ص ٥٣٠ ، ٥٣١ - ابن الأثير : المصدر نفسه ، ج ٤ ، ص ٥٣٣ .

٢٣٧- المصدر نفسه ، صفحة ٢٨٦ .

٢٣٨- يقصد ابن اخت ملك الصين والذي عرف عند الطبرى (كوريغانون التركى) وعند النرشخي (كورمغانون) ، اما ملك الصين فعرف بلقب ثقفور أو يغمور .

٢٣٩- المصدر نفسه ، ج ٣ ، ص ٥٣١ - ٥٣٤ .

٢٤٠- المصدر نفسه ، ج ٤ ، ص ٥٣٣ -٥٣٦ .

٢٤١- ذكر فامبرى أن قتيبة فتح وردان سنة ٩٩هـ بعد أن اخضع كش ونخشب بعشر سنوات ، ومن الثابت أن قتيبة قتل سنة ٩٦هـ (انظر فامبرى : المرجع نفسه ، ص ٦٤) وحول مقتل قتيبة انظر اليعقوبي : المصدر نفسه ، ص٢٩٦ - الطبرى : المصدر نفسه ، ج ٣ ، ص ٥٦٥) .

٢٤٢- خلط فامبرى بين المعركتين ، فأدخل احداث معركة راميثن ضمن حديثه عن حصار وردان (المرجع نفسه ، صفحة ٦٤، ٦٥).

٢٤٣- تذكر الرواية ان حيان النبطى قد رأى ضرورة للايقاع بين المتحالفين الترك بعد أن ابدى ملك الصغد (طرخون) شجاعة في الحرب ، فراسله سرا ، والتقى به بعد أن حمى وطيس المعركة معلنا له أن العرب سوف يعودون بعد قليل عند بداية فصل الشتاء ، وعند عودتهم سوف ينقلب عليه الاتراك ، ويغزون ارضه المليئة بالخيرات ، وأولى به أن يصالح العرب على أن يظهر ميله للصلح معهم مفتعلا خشيته من امدادات عسكرية جاءت إليهم من قبل الحجاج بن يوسف الثقفي عن طريق كش ونخشب ، وعند ذلك يضطر الترك الى العودة من حيث اتوا ، ويحمى هو نفسه من اطماعهم ، وقيل أن طرخون، استحسن القول ، فبعث إلى حلفائه يرغبهم في الصلح بعد أن بعث إلى قتيبة وصالحه على مال قدره الف درهم ، وانتهى الأمر بأن انصرف

٢١٦- وردت عند الطبرى انتقلكم .

٢١٧- يضم الميم واللام مدينة غربي جيحون على امتداد الطريق من مرو إلى بخارى
ياقوت : المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٥٨ .

٢١٨- المصدر نفسه ، ص ٧١ .

٢١٩- بفتح أوله ونون ساكنة من قرى بخارى ، وتبعد عن مدينة بخارى بأربعة فراسخ على طريق خراسان (ياقوت : المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ٣٩١).

٢٢٠- من قرى بخارى وتبعد عنها بثلاثة فراسخ .

٢٢١- المصدر نفسه ، صفحة ٤٠٦ .

٢٢٢- المصدر نفسه ، ج ٤ ، صفحة ٥٣٣ .

٢٢٣- النرشخي : المصدر نفسه ، ص ٧١ .

٢٢٤- أوردها ابن خرداذبة بمجكت (المصدر نفسه ، ص ٢٥).

٢٢٥- الطبرى : المصدر نفسه ، ج ٣ ، ص ٥٢٨ - ابن الأثير : المصدر نفسه :
ج٤ ، ص ٥٣٣ .

٢٢٦- الاصطخري : المصدر نفسه ، ص ٣١٦.

٢٢٧- وردت عند المقدسى (اريامیثن) ضمن قرى بخارى (احسن التقاسيم ، صفحة ٣٦٧) واوردها ياقوت (راميثن) بكسر الميم وسكون الياء ضمن قرى بخارى (معجم البلدان ، ج ٣ ، صفحة ١٨).

٢٢٨- الطبرى : المصدر نفسه ، ج ٣ ، ص ٥٣٠.

٢٢٩- النرشخي : المصدر نفسه ، ص ٣٢ .

٢٣٠- ابن الاثير : المصدر نفسه ، ص ٣٣٠.

٢٣١- الطبرى : المصدر نفسه ، ج ٣ ، ص ٥٣٠ .

٢٣٢- ابن الأثير : المصدر نفسه ، ج٤ ، ص ٥٣٣ .

٢٣٣- المصدر نفسه ، صفحة ٧١ .

٢٣٤- المصادر نفسها والصفحات .

٢٣٥- راجع المصادر نفسها والصفحات .

٢٣٦- الطبرى : المصدر نفسه ، ج ٣ ، ص ٥٣٠ ، ٥٣١ - ابن الأثير : المصدر نفسه ، ج ٤ ، ص ٥٣٣ .

٢٣٧- المصدر نفسه ، صفحة ٢٨٦ .

٢٣٨- يقصد ابن اخت ملك الصين والذي عرف عند الطبرى (كوربغانون التركى) وعند النرشخي (كورمغانون) ، اما ملك الصين فعرف بلقب ففغور أو يغمور .

٢٣٩- المصدر نفسه ، ج ٣ ، ص ٥٣١ - ٥٣٤ .

٢٤٠- المصدر نفسه ، ج ٤ ، ص ٥٣٣ -٥٣٦ .

٢٤١- ذكر فامبرى أن قتيبة فتح وردان سنة ٩٩هـ بعد أن اخضع كش ونخشب بعشر سنوات ، ومن الثابت أن قتيبة قتل سنة ٩٦هـ (انظر فامبرى : المرجع نفسه ، ص ٦٤) وحول مقتل قتيبة انظر اليعقوبي : المصدر نفسه ، ص٢٩٦ - الطبرى : المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ٥٦٥) .

٢٤٢- خلط فامبرى بين المعركتين ، فأدخل احداث معركة راميثن ضمن حديثه عن حصار وردان (المرجع نفسه ، صفحة ٦٤، ٦٥).

٢٤٣- تذكر الرواية ان حيان النبطى قد رأى ضرورة للايقاع بين المتحالفين الترك بعد أن ابدى ملك الصغد (طرخون) شجاعة في الحرب ، فراسله سرا، والتقى به بعد أن حمى وطيس المعركة معلنا له أن العرب سوف يعودون بعد قليل عند بداية فصل الشتاء وعند عودتهم سوف ينقلب عليه الاتراك ، ويغزون ارضه المليئة بالخيرات ، وأولى به أن يصالح العرب على أن يظهر ميله للصلح معهم مفتعلا خشيته من امدادات عسكرية جاءت إليهم من قبل الحجاج بن يوسف الثقفي عن طريق كش ونخشب ، وعند ذلك يضطر الترك الى العودة من حيث اتوا ، ويحمى هو نفسه من اطماعهم ، وقبل أن طرخون، استحسن القول ، فبعث إلى حلفائه يرغبهم في الصلح بعد أن بعث إلى قتيبة وصالحه على مال قدره الف درهم ، وانتهى الأمر بأن انصرف

المحاصرون ونجا العرب من هذا البلاء بعد أن ظلوا في شدة اربعة شهور كاملة لم تصل اخبارهم إلى الحجاج (النرشخي : المصدر نفسه ، صفحة ٧٢).

٢٤٤- تاريخ الأمم والملوك : ج ٣ ، ص ٥٣٤ .

٢٤٥- انظر ابن قتيبة : المصدر نفسه ، ص ٤٠٧ .

٢٤٦- راجع الطبرى : المصدر نفسه والصفحة - ابن الأثير : المصدر نفسه ج ٤ ، ص ٥٤٢و ٥٤٣.

٢٤٧- الطبرى : المصدر نفسه ، ج ٣ ، ص ٥٣٤.

٢٤٨- المصدر نفسه ، صفحة ٤٠٦ .

٢٤٩- المصدر نفسه ، ج ٣ ، ص ٥٣٣ ، ٥٣٤ .

٢٥٠- المصدر نفسه ، ج ٤ ، ص ٥٤٢ و ٥٤٣ .

٢٥١- المصدر نفسه ، صفحة ٧٢ .

٢٥٢- المصدر نفسه ، ج ٣ ، ص ٥٣٤ .

٢٥٣- المصدر نفسه ، ص ٧٢ .

٢٥٤- المصدر نفسه ، ص ٧٢ .

٢٥٥- المصدر نفسه ، ص ٧٢ .

٢٥٦- النرشخي ، ص ٧٣ .

٢٥٧- فامبرى : المرجع نفسه ، ص ٦٦ ، لم يقطع فامبرى بصحة هذه الرواية .

٢٥٨- فامبرى : المرجع نفسه ، ص ٦٦.

٢٥٩- المصدر نفسه ، ص ٤٠٦ .

260- Gibb : The Arabe Comquests in Central Asia , P.40.

٢٦١- تعنى بهاكر مينية وماجاورها

٢٦٢- حسن محمود : المرجع نفسه ، ص ١٤٨ ، ١٤٩.

وانظر أيضا :

Holt , Lambton , and Bernard lawis: The Cambridge History of Islam V IA, P. 86.

الفصل الثالث

انتشار الإسلام فى بخارى

[illegible] إلى [illegible] أربعة شهور، كاملة

[illegible] ؛ المصدر نفسه، [illegible] ٤٧٢.

[illegible] ج ٣، ص ٥٣٤.

[illegible] المصدر نفسه، ص ٤٠٧.

[illegible] المصدر نفسه والصفحة. ابن الأثير: المصدر نفسه ج ٤، ص [illegible]

[illegible] الطبري: المصدر نفسه، ج ٣، ص ٥٣٤.

[illegible] المصدر نفسه، صفحة ٤٠٩.

[illegible] المصدر نفسه، ج ٣، ص ٥٢٢، ٥٣٤.

[illegible] المصدر نفسه، ج ٤، ص ٥٢٩ و ٥٤٣.

[illegible] المصدر نفسه، صفحة ٧٢.

[illegible] المصدر نفسه، ج ٣، ص ٥٣٤.

[illegible] المصدر نفسه، ص ٧٦.

[illegible] المصدر نفسه، ص ٧٦.

[illegible] المصدر نفسه، ص ٧٢.

[illegible] ص ٧٢.

[illegible] الفتوح نفسه، ص ٦٦.

[illegible] نفسه، ص ١٠٦.

260- Gibb : The Arabe Conquests of [illegible]

[illegible]

[illegible] ص ١٤٨، ١٤٩.

Holt ; Lambton ; and Bernard lewis: The Cambridge [illegible] V IA, P. 86.

الفصل الثالث
انتشار الإسلام في بخارى

أخذ الإسلام ينتشر في اقليم بخارى تبعا لتوطين القبائل العربية ، واقامة المساجد ، وجهود الحكام العرب في العمل على نشر الإسلام وتشجيع الترك على الدخول فيه ، فضلا عما واكب ذلك كله من ظاهرة الاختلاط بين العرب والترك التي أسهمت في خلق مجتمع اندماجي انصهرت فيه الوشائج العربية مع التركية الأمر الذي كان له أكبر الأثر في التمكين للسيادة العربية في ذلك الاقليم ، ولنعرض لهذه العوامل ، وأثرها في الترويج للإسلام بين العناصر التركية .

استقرار العرب في بخارى :

اتخذ العرب مراكز ثابتة في خراسان منذ أن وطد الأمويون نفوذهم في عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان ، فلما ولي الربيع بن زياد الحارثي خراسان نَقَل إليها من أهل البصرة والكوفة خمسين ألف أسرة عربية (١) ، ويمثل هذا التوافد العربي بداية لسياسة عربية تستهدف شمال جيحون ، إذ سرعان ما خرج من هذه الجموع العربية من سكن دون النهر بإشارة من الربيع بن زياد ، ومما قيل أن بريدة بن خصيب الأسلمي (٢) وأبا برزة الأسلمي عبد الله بن نضله(٣) استقرا بأطراف جيحون الشمالية (٤) ، ويظهر أن ذلك الاستقرار البطيء كان بقصد الارتياد ، بدليل أن بريدة نفسه لم ينقل أهل بيته إلى ناحية جيحون ، وظل كل من بريدة وابي برزه في مرو بخراسان حتى ماتا بها (٥) ، بعد أن ترك فيها (عقبا وعددا) (٦)، ولم يكن في نية والى خراسان الرغبة في أن يستخدم العرب في جهاد الترك مع اسكانهم أرضهم في ذلك الوقت الذي يلقي فيه معارضة في بعض النواحي بخراسان وبالذات - آمل التي كانت تمثل إذ ذاك المدخل الطبيعي لعبور النهر .

أخذت الجيوش العربية تعبر جيحون بقصد الفتح ونشر الجهاد ، دون أن تتمركز فيما وراءه ، وسرعان ماتعود إلى خراسان محرزة الهدف من وراء هذه الحملات الخاطفة السريعة ، ومن بين النتائج التي تتصل بحياةالعرب وصلتهم بالترك حينئذ ماكان يعود على الشعبين بالنفع على أثر ذلك الاختلاط المتبادل بينهما ، فهذا عبيد الله بن زياد ينقل إلى البصرة في عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان بعد انتصاراته في رامدين وبيكند جمعا كثيفا من أهالي بخارى (٧) ، ولايخفى علينا أثر هذه الظاهرة في المجال الثقافي ، إذ أسهمت في خلق فرصة أمام البخاريين ليختلطوا بالعرب ، فتعارف كل منهما على تقاليد الآخر مما كان له أكبر الأثر في تضييق ذلك البون الشاسع الذي كان بينهما ، ونستخلص من اشارات المصادر أن أهل بخارى استقروا في البصرة في ذلك الوقت المبكر من تاريخ الإسلام بعد أن بنى لهم عبيد الله ابن زياد مساكن خاصة بهذه المدينة ، عرفت بحى البخارية أو سكة البخارية(٨) ، ومارس هؤلاء حياتهم اليومية ، واستطابوا حياتهم المدنية في يسر وسهولة .

لما ولى سعيد بن عثمان بن عفان خراسان من قبل معاوية بن أبي سفيان سنة٥٥هـ سار على سياسة سلفه عبيد الله بن زياد في اسكان نفر من الترك بين العرب، وكان من نتائج ذلك أن نهض الراغبون في الجهاد لفتح بلاد الترك ، حتى بلغ الأمر بالنساء أن شاركن الجنود العرب في عبور النهر ، إذ صاحب سلم بن زياد والى خراسان من قبل الخليفة يزيد بن معاوية امرأته عند عبوره النهر على رأس الجند العرب إلى بخارى لتكون اول عربية عبرت النهر (٩) ، ومما يدل على أن المجال كان متاحا أمام العرب للاختلاط بالاتراك بأرض الترك أن هذه المرأة أنجبت لزوجها سلم ولدا أسماه السغدى ، وكان أن جمعت من الهدايا من امرأة صاحب السغد الكثير (١٠)، مما ينهض دليلا على أنه كان يواكب الفتوحات العربية فرصة تبادل خلالها العرب مع الاتراك الصلات ، و بلغ الأمر بهم أن استعاروا أسماءهم .

ومما دعاإلى اختلاط العرب بالترك فيما وراء النهر زمن الفتح ، أن النزاع بين القيسية واليمنية كان يدعو الترك في بعض الأحيان إلى الانضمام إلى جانب من الفاتحين على حساب الآخر رغبة في احتواء القيادات العربية دون أن يروع لهم أمن

الأمر الذي كان له أكبر الأثر في اقتراب قسم كبير من الترك من العرب حيث تبادلوا الصلات فيما أقبلوا عليه من مظاهر اجتماعية لاتخلو من أثر يذكر في الترويج للعادات العربية، وعلى سبيل المثال لا الحصر أن ثابت بن قتيبة الخزاعي الذي انضم إلى موسى بن عبدالله بن خازم من زعماء القيسية في خراسان ، استرضى زعماء الترك، الذين اقتربوا منه وأحبوه ، وفي ذلك يذكر الطبرى (١١) (وكان ثابت محببا إلى العجم ، بعيد الصوت ، يعظمونه ويثقون به ، فكان الرجل إذا أعطى عهدا يريد الوفاء به حلف بحياة ثابت ، فلا يغدر ...) ، وكان أهل بخارى هؤلاء ممن انضموا إلى ثابت وموسى بن عبد الله في نزاعه مع يزيد بن المهلب زعيم اليمنية (١٢)، ولما وقعت الوحشة بين ثابت وموسى ، انحاز أهل بخارى وجمع آخر من الترك إلى ثابت، وكان من اليسير على الفضل بن المهلب (١٣) أن يكتسب ولاء الأمراء الترك ، فانضموا إليه حينما سار إلى الترمذ لاخضاع موسى بن عبدالله (١٤).

ومما يدل على أهمية هذه الظاهرة واثرها في تعميق روابط الاتصال بين العرب والترك مارواه الطبرى (١٥) من أن ثابتا في نزاعه مع موسى بن عبد الله استخلص محمد بن عبد الله بن مرثد وجعله عينا على معسكر موسى فى ترمذ ، منبها اياه بأن لايتكلم بالعربية مدعيا أنه من سبى الباميان (١٦) ، وتم له ما أراد ، فكان ذلك الرجل يخدم موسى بن عبدالله ، ويعود إلى ثابت بأخباره وأحواله التي عادت كثيرا بالنفع عليه ، وحمى نفسه من اعدائه ، ولاتخلو هذه الرواية من دلالة تعكس لنا أن محمد بن عبد الله هذا اكتسب لغة الترك ، وكان يعرف ألفاظها ، لأن قيامه بدور الأسير لا يتأتى إلا باكتسابه مظاهر خاصة تتوافر في الاسرى والسبايا ، وأهم هذه المظاهر ، اللغة ، والملابس ، والعادات ، وغير ذلك، الأمر الذي يؤكد نجاح محمد ابن عبدالله في حملها والتأثر بها .

يتضح لنا مما تقدم بأنه على الرغم من أن النزاع بين العرب قد أبطأ المسيرة العربية في مجال الفتح بعض الوقت إلا أنه قد عاد بالنفع في مجال الحضارة ، فأفسح المجال إلى الاحتكاك بين العرب والترك ، وظهرت النواة الأولى في ذلك الوقت المبكر توطئة لخلق مجتمع متجانس في وقت لاحق من شأنه أن ييسر على العرب طريق

الدعوة إلى الإسلام وبالذات - في بخارى ونواحيها الأقرب إلى خراسان التي عُرف أهلها بأهل الدعوة ويحدثنا المقدسي (١٧) عن أهل خراسان بأنهم كانوا في الإسلام (أحسن الأمم رغبة وأشدهم إليه مسارعة منا من الله عليهم أسلموا طوعا ، ودخلوا فيه أفواجا ، وصالحوا عن بلادهم صلحا ...).

وتظهر نتائج هذه الصلات بين العرب والترك بانضمام سبعة آلاف من الموالى إلى جيش قتيبة الفاتح سنة ٨٦هـ (١٨) في ظل سياسة عربية مرسومة دعت إلى تجنيد نفر من الترك في هذا الجيش ، ومن الثابت أن المطوعة من أهل بخارى كانوا ضمن هؤلاء (١٩)، وواكب ذلك كله ترحيب من الدهاقين والأمراء بقدوم قتيبة(٢٠).

وأسهم قتيبة بن مسلم في تدعيم الصلات بين العرب والترك بمقتضى الصلح الذي صالح به البخارين على سبعمائة ألف درهم، وضيافة المسلمين ثلاثة أيام(٢٢)، بمعنى أن يقوم أهالي بخارى بضيافة من ينزل عليهم من الجنود العرب خلال هذه الفترة المحددة ، ومما يجدر ذكره أن هذه السياسة تعود من حيث الظهور إلى عهد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) حيث عمل بها الفاتحون في عهده (٢٣) ، ولايخفى علينا ما لهذه السياسة من أهمية في خلق فرص أمام العرب للاندماج مع الترك في بخارى .

ويرجع الفضل إلى قتيبة بن سلم في اسكان القبائل العربية واستقرار افرادها استقرارا حقيقيا في مراكز ثابتة في بخارى ، فقددعا هذا الفاتح العظيم حينما صالح أهالي بخارى إلى تخصيص جزء من منازل بخارى للمسلمين والجند العرب على أن يكفلوا تقديم العلف لخيل العرب ويرسلوها مع شخص خارج المدينة ، وتشير المراجع الفارسية إلى أن ظهور العرب في بخارى لم يأت إلا بعد أن صالح قتيبة أهالي بخارى وأتم فتوحاته في هذا الأقليم (٢٤).

وكان قتيبة بن مسلم يعول على تسكين العرب البلاد المفتوحة فيما وراء النهر بعد اتمام عمليات الفتح ، وكان يفضل اسكانهم في المدن الكبرى ، فأورد النرشخي أنه قد استهدف من وراء تخصيص منازل للعرب في هذه المدن نشر الاسلام ، وأمر أهل بخارى بأن يعطوا نصف بيوتهم للعرب ليقيموا معهم ويطلعوا على أحوالهم ، فيظلوا

مسلمين بالضرورة (٢٥) الأمر الذي ينهض دليلا على أن قتيبة كان يدرك أهمية العامل الاجتماعي في الترويج للدعوة إلى الإسلام، ويذكر ابن كثير (٢٦) عن قتيبة أنه (قد هدى الله على يديه خلقا لايحصيهم إلا الله ، فأسلموا) ، وليس غريبا على الكتاب الايرانيين أن يركزوا على ذلك العامل، وأثره في هذا المجال فيذكر العلامة الايراني سعيد نفيسي (٢٧) أنه قد نتج عن سياسة قتيبة بن مسلم أن استقرت بعض الأسر العربية في بخارى ، واختلط الدم العربي بالدم الايراني .

واتبع قتيبة بن مسلم سياسة عربية مرسومة في تسكين العرب بمدينة بخارى تنطوي على تأثيرات قبلية ، فخصص بها جزءا لربيعة وآخر لمضر وثالث لليمنية(٢٨)، وجعل للقائد ابن أيوب بن حسان محلة في كوى كاخ (محلة القصر) لظروف أملتها عمليات الفتح (٢٩).

وحرص قتيبة على أن تكون بيوت العرب في داخل بخارى في جهة باب المجوس(٣٠) ، ويذكر النرشخي (٣١) أن هذه البيوت كانت في الأغلب بهذا الباب (وهو أقوى الأبواب ، وله حزام كبير طوله ستون قدما) ، ويبدو أن تلك الجهة كانت قبل الإسلام للمجوس والوثنيين ، الذين مثلوا الأغلبية بين أهل بخارى ، الأمر الذي يعكس رغبة قتيبة في أن تؤدى هذه السياسة إلى ازاحة آثار هذه العقائد القديمة.

أما بطون القبائل التي استوطنت بخارى زمن الفتح ، فالحديث عنها في المصادر مقتضب ، ويشوبه الغموض ، ويتسم بالعمومية ، والمعلومات الواردة في شأنه لاتكفي بأي حال لنفرد له فصلا خاصا .

ومهما يكن من أمر فإنه قد مثل أفراد من ابناء القبائل ممن تنتمي إلى القيسية واليمنية في فتح بخارى ، وفيما يلي عرض سريع موجز لهذه البطون .

أولا ، العدنانية ،

١- ربيعـة ،

- بنو اسد ،

كان يمثل ربيعة في جيش قتيبة الفاتح نفر من بنى أسد(٣٢) بن ربيعة بن نزار(٣٣) ، واستقر ابناء ذلك البطن استقرارا فعليا بعد الفتح في بخارى ، وعرفت المحلة التي استوطنوها بباب بنى أسد (٣٤).

وقد مثل ربيعة من بنى أسد في جيش قتيبة نفر من عبد القيس (٣٥)حيث شارك من ابنائه في هذا الفتح أربعة آلاف رجل (٣٦) ، وظهر من ابناء هذا البطن عبدالله بن علوان عودى ، الذي تولى الترؤس على فرع بنى عبد القيسى عند الفتح (٣٧)، وآلت رئاسة عبد القيس إلى بني المنذر زمن بنى أمية ، حيث كان ابوغيلان الحكم بن المنذر سيد عبد القيس ، وكان أن غضب عليه الحجاج بن يوسف الثقفي ، فحبسه ، وظل في حبسه إلى أن مات (٣٨).

- بنو وائل (٣٩):

مثل بنى وائل في جيش قتيبة نفر من بكر بن وائل ، وقيل أن سبعة آلاف من بكر ساهموا في فتح بخارى (٤٠) ، وكان يمثل بكرا تمثيلا حقيقيا في هذا الفتح نفر من بنى شيبان.ويذكر الطبرى (٤١) أن الحضين بن المنذر - من بنى شيبان- تولى الترؤس على الجناح البكرى في الجيش ، وكان أن استقر واسرته ببخارى، وأسهموا في النزاع الذي وقع بين القيسية واليمنية ، كما عُرف عن الحضين أنه صاحب قول نافذ بين العرب في بخارى ، واشتهر بفصاحته ، وكان قتيبة كثيرا مما يسند إليه الحديث حينما يجتمع بوجوه العرب (٤٢)، ونستخلص من اشارات ابن حزم(٤٣)، ان الحضين (٤٤) استوطن في بخارى ، حيث أقام واولاده واحفاده .

ولما اجتذب أبو مسلم الخراساني الخوارج واليمانية ، وقف إلى جانبه أهل بخارى

رغبة فى الخلاص من الحكم الأموى ، وكان أن أقبل من أجل ذلك على قتل القيسية وقتل ضمن ما قتل يحى بن الحضين بن المنذر ، وابنه الحضين (٤٥) .

٢ - مضر :

بنو سليم :

اسهم نفر من بنى سليم فى احداث فتح بخارى ، وظهر من بينهم عبد الله بن خازم والى خراسان ، وابنه موسى بن عبد الله ، وسائر بنيه ، وكانت لهم ببخارى وخراسان (آثار) ، حيث ارتادوا هذه النواحى ، ولما قتل عبد الله وابنه موسى من بعده ضعف شأن البيت السلمى ، حتى تولى اشرس بن عبد الله السلمى خراسان ، فاستعادوا نفوذهم وأسهموا فى الدعوة الى الاسلام ، وانشأوا دور العلم . واقتربوا من الترك ، اما ابناء عبد الله بن خازم ، فقد حافظوا على مكانتهم فى البصرة فترة طويلة الأجل جاوزت القرن الرابع الهجرى (٤٦) .

- بنو ملكان :

ساهم نفر من بنى ملكان فى جيش قتيبة ، وظهر من ابناء هذا البطن عبد الله بن والان العدوى ، وكان من ثقاة قتيبة ، فقد ولاه بعد فتح بيكند أمر تقسيم الغنائم (٤٧) ، ويلغ هذا الرجل من الأمانة والمعرفة فى هذا السبيل حتى دعاه قتيبة بالأمين بن الأمين ، إذ كان يتوخى العدالة فى توزيع الغنائم ، ولا ينفرد بقسم منها ، وعاد ذلك بالنفع الوفير على الجند العرب (٤٨) .

ويكاد يكون الحديث عن بنى ملكان فى صدور الاسلام منفذ ما فى المصادر العربية - باستثناء دورهم فى فتح بخارى (٤٩) .

- بنو أسلم (٥٠) :

شاركت عناصر من بني أسلم في العمليات الأولى لفتح اقليم ماوراء النهر في عهد الربيع بن زياد ، حيث برز في هذا الميدان بريدة بن خصيب الأسلمي ، وأبو برزة الأسلمي (٥١).

- بنو سعد :

ينتسب بنو سعد إلى قيس عيلان بن مضر (٥٢) ، وكان يمثل ذلك البطن في بخارى زمن الفتح الباهلة من بنى وائل بن معن بن مالك بن أعصر بن سعد بن قيس عيلان (٥٣) ، وكان أن آلت إليهم قيادة الجيش لفتح بخارى وسائر النواحي فيما وراء النهر في خلافة الوليد بن عبد الملك ، واشتهر من ابناء ذلك البطن ، القائد العظيم قتيبة بن مسلم (٥٤) وابنه عبد الرحمن الذي خاض احدى المعارك ضد الترك في بخارى (٥٥) ، واستوطن المهالبة - بطبيعة الحال - مواطن ربيعة بداخل بخارى، باستثناء القادة منهم الذين سكنوا محلة القصر ضمن ما نزلها من قيادات(٥٦).

ونستخلص من كتابات النرشخي أنه قد سكن بخارى أفراد آخرون ممن ينتسبون إلى بني سعد بن قيس عيلان إلى جانب الباهلة ، وعرفت محلتهم بباب بنى سعد ، كما جاوروا في سكناهم بنى أسد (٥٧).

- تميم (٥٨) :

كان بنو تميم يمثلون الأغلبية في الجيش الزاحف لفتح بخارى سنة ٨٦ هـ ، وكان قتيبة بن مسلم يعقد عليهم الأمل في تطويق النواحي البخارية ، وورد انه قال لهم (يابنى تميم انكم انتم بمنزلة الحطمية) (٥٩)، ومن بطون بنى تميم :

- **بنو قريع :**

ينتسبون إلى زيد مناة بن تميم (٦٠) ، وكان يمثل ذلك الفرع نفر في جيش قتيبة ، وأبلى هذا الجمع من قريع بلاء حسنا في النفاذ إلى جموع الترك المتحالفة بنواحي بخارى وإليهم يعود الفضل في تمهيد السبيل إلى اتمام فتح بخارى (٦١) ، وقد استقر بنو قريع بجوار العناصر المضرية باشارة من قتيبة بن مسلم .

- **بنو مجاشع :**

ينتسبون إلى زيد مناة بن تميم من بني دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك(٦٢) ، وظهر من ابنائهم هزيم بن أبي طحمة المجاشعي ، وكان قد ولاه قتيبة حينما اعتزم فتح بخارى على خيل بني تميم ، وتميز بنو مجاشع بالكثرة العددية ، والنفوذ الواسع في بخارى وخراسان بعد قتيبة بتشجيع من الوالي نصر بن سيار (١٢١هـ - ١٣١هـ) شيخ المضرية حينئذ (٦٣) ، ومما يحسب لهؤلاء الأبناء أنهم استقروا واندمجوا مع الموالي وتبادلوا الصلات معهم ، واكتسبوا لغتهم ، وظهر ابن هزيم بن أبي طحمة المجاشعي الذي عرف لغة الترك وكان يترجم لنصر بن سيار ، حتى صار بذلك همزة الوصل بين الترك وعامل بني أمية (٦٤) .

- **بنو يربوع :**

ينتسبون إلى زيد مناة بن تميم من ولد حنظلة بن مالك ، وكان أن آلت إليهم الرئاسة على بني تميم في جيش قتيبة الزاحف لفتح بخارى ، فقد أسند إلى وكيع بن حسان بن قيس بن أبي سود هذه الرئاسة ، واشتهر وكيع هذا بقدرته على خوض غمار الحروب ، وشدة بأسه بين عسكره (٦٥) ، وعاش وكيع فيما وراء النهر فترة من الزمن ، واستوطن ابنه محمد البصرة ، وكان من اشرافها ، ويبدو أن دور بني يربوع لم يمتد إلى مجالات أخرى غير الفتح ، ولم تكشف المصادر القديمة عن دور لهم - وبالذات - بعد أن عزل قتيبة وكيعا اليربوعي من رئاسة بني تميم ، وحتى هذا

الاخير على قتيبة ، فسعى في تأليب الجند سرا عليه ثم قتله بفرغانة وأحد عشر من أهله في ذى الحجة سنة ٩٦هـ (٦٦).

ثانيا ، اليمنية ،

شارك نفر من اليمنية في المعارك الأولى التي خاضها العرب فيما وراء النهر ، وتكشف المصادر عن محدودية نشاطهم في مجال الفتح فضلا عن أعدادهم القليلة التي شاركت في هذا المجال إذا قورنت بالكثرة العددية التي مثلت المضرية ، ونستخلص من بطون الكتب ما انطوى عليه النزاع بين هذين الجانبين من شدة كان لها اسوأ الأثر على اليمنية ، ووجد العباسيون في ذلك كله فرصة إلى اجتذاب اليمانية ، وأحرز أبو سلم الخراساني نجاحا فعالا أفسح المجال إلى دخول الاهالى في خراسان وماوراء النهر في طاعة العباسيين .

غير أن النزاع بين القيسية واليمنية كان كثيرا مايختفى عند اندلاع المعارك في ميدان الجهاد ، فهذا الحجاج بن يوسف الثقفي يجعل القيادة في الجيش العربي فيما وراء النهر لرجال من اليمانية ليحول دون قيام الأزد بثورة تعوق عليه تقدمه في مجال الفتح (٦٧) ، ولما تولى قتيبة بن مسلم الباهلى خراسان والقيادة لاستكمال الفتح بأمر من الخليفة عبد الملك بن مروان (٦٨)، استعمل اليمانية في جيشه ، وجعل لهم جناحا خاصا يضم عشرة آلاف رجل (٦٩).

وكان يمثل اليمنية في فتح بخارى جماعات من الأزد ممن ينتسبون إلى العتيك ابن الأزد بن عمرو مزيقيا ، ونذكر منهم يزيد بن المهلب بن أبي صفرة ، والفضل بن المهلب الذي نجح في سنة ٨٥ هـ في استمالة الأمراء الاتراك فيما وراء النهر ، وكان أن استحوذ اليمانية بفضل المهالبة على نفوذ كبير في خراسان ثم في بخارى زمن قتيبة ابن مسلم حيث كان يتولى الترؤس عليهم عبد الله بن حوذان (٧٠) ، ونستخلص من اشارات ابن حزم (٧١) أن المهالبة دأبوا على الثورة في فارس والبصرة مما كان له اثر لايغفل في افساح المجال للدعوة العباسية أن تروج في تلك النواحى وماوراء النهر.

ومهما يكن من أمر فإن الأزد استوطنوا بخارى على عهد قتيبة بن مسلم

الذي خصص لهم جزءا من المدينة بعد فتحها فتحا كاملا (٧٢) ، ومما لاشك فيه أنهم ضاقوا ذرعا ازاء سياسة بنى أمية ، ثم نعموا بعض الوقت على عهد العباسيين الأوائل.

وقصارى القول ، فإن نجاح العرب في فتح بخارى قد واكبه سياسة عربية استهدفت تسكين العرب في هذه النواحي ، وكان من أثر ذلك أن راجت الثقافة العربية مما أسهم بطبيعة الحال في نشر الإسلام بين الترك .

سياسة العرب تجاه البخاريين وأثرها في الدعوة إلى الإسلام :

اتجهت السياسة العربية في بخارى بعد الفتح نحو اجتذاب الأهلين لافساح المجال لتعاليم الإسلام أن تروج ، ولم تختلف سياسة الفاتحين في ذلك عما كان عليه الحال زمن الفاتحين الأوائل في عهد الراشدين الذين لم يسببوا أي متاعب لسكان البلاد المفتوحة (٧٣).

والحق أن هذه السياسة قد أبطأت على الفاتحين جهودهم في نشر الإسلام ، ولكن إلى حين ، إذ سرعان ما أقبل البخاريون على اعتناق الإسلام ، واتخذوا منه عقيدة راسخة ، ولا عبرة باشارات المستشرقين في هذا المجال والتي تنطوى على اتهام العرب بالتعسف لحمل الناس على الدخول في الإسلام (٧٤).

وأول ما يقابلنا من سياسات الحكام العرب في هذا المضمار ابقاؤهم على من بقى من أعضاء الأسرة الحاكمة في بخارى في مناصبهم ، من ذلك ، أن العرب تركوا أمراء الترك في بيكند رامیثن بنواحي بخارى يحكمون (٧٥).

ولما أتم قتيبة فتح بخارى أبقى طغشادة عليها ، وجعله يحكمها حتى نهاية عهده سنة ٩٦هـ ، ولم يغير خلفاؤه هذه السياسة من بعده ، فقد ظل طغشادة هذا على بخارى حتى عهد الوالى نصر بن سيار ، فملكها اثنين وثلاثين عاما في ظل الحكم العربي (٧٦).

ومما يجدر اعتباره أن قتيبة قد جنى ثمار هذه السياسة بما أحرزه في مجال الدعوة إلى الإسلام ، فقد اظهر طغشادة اسلامه بتأثير هذه السياسة التي كفلت له

البقاء في الحكم ، والجب وهو في الإسلام ولدا أسماه قتيبة حبا في قتيبة بن مسلم(٧٧)، وعلى الرغم من أن اظهار طغشاده للإسلام على هذا النحو لايعكس اعتناقا صحيحا ، فإنه قد خرج من بيته من اعتنق الإسلام واتخذ منه عقيدة راسخة.

وقضت سياسة العرب تعيين عمال من العرب إلى جانب أمراء الترك في البلاد المفتوحة فيما وراء النهر ، فجعل قتيبة مع طغشاده أيوب الانصارى أميرا على بخارى(٧٨) ، ولسنا نعرف على وجه التحديد مدى ما كان يتمتع به هذا الأمير من نفوذ ، لكن النرشخي أظهر ضمن اشاراته الغاء العمل بذلك النظام زمن العباسيين حينما أشار إلى انفراد الأمير ابى جعفر الروانقي سنة ١٥٠ هـ بحكم بخارى دون أن يشاركه أحد من الأمراء المحليين الترك الذى عرفوا زمن بنى أمية ، وكان ذلك الأمير يسلك سياسة قابضة ويسيطر على مقاليد الحكم ، ويتدخل في توزيع الأراضي والاشراف على سجلاتها (٧٩).

وواكب سياسة التسامح التى رسمها العرب في بخارى ابان الفتح وبعده أن استطاب أهالى بخارى حياتهم المدنية ، فسمح لهم بعمارة أراضيهم والانتقال بين النواحي، ونعم تجار بيكند بهذه السياسة ، ذلك انه لما وجدوا عند عودتهم من الصين أن العرب فتحوا مدينتهم وأوقعوا أبناءهم وأقاربهم في الاسر واسترقوا منهم نفرا طالبوا باعادتهم ، فوافق العرب مقابل ضمان ، واستعمل التجار العائدون أقرباءهم في تعمير بيكند بعد أن منيت بآثار الحرب (٨٠).

ويبدو أن تسامح قتيبة بن مسلم على هذا النحو قد جاء مقترنا بحرص العرب ازاء أعمال مردة الترك الذين نشروا في نواحي بخارى سياسة غاشمة تنطوى على العداء تجاههم بدافع من وثنيتهم ، وبلغ الأمر بقتيبة أن أمر العرب بأن يحملوا السلاح عند خروجهم من مدينة بخارى إلى خارجها لصلاة العيد ، وكان قتيبة أن سمح لآل كشكشة من التجار بأن يقيموا قصورا خارج المدينة ، فبنوا سبعمائة قصر إلى جانب

بيوت أخرى لاتباعهم وخدمهم (٨١)، الذين مارسوا طقوس المجوس مما ساعد على ظهور مثل هؤلاء المردة .

ولم يغفل قتيبة أهمية بناء المسجد رمزا لسيادة الإسلام والدعوة إليه بين البخاريين ، فاتخذ موضعا للأصنام في بخارى وأقام عليه أول مسجد جامع سنة٩٤هـ، وكان يدرك أن الإسلام كان لايزال جديدا على الناس فضلا عن خطورة مردة المجوسية الذين أحاطوا بالمدينة بالخارج ، وكان قد شجع الترك على الدخول في الإسلام بأن أمر مناديه بالخروج كل يوم جمعة ليعلن بينهم عن منح كل من يأتي لصلاة الجمعة درهمين ، وكان من أثر ذلك أن ازدادت رغبة الناس في الإسلام ، ومما قيل أن أهل بخارى كانوا في أول الاسلام يقرأون القرآن في الصلاة بالفارسية ، فعند وقت الركوع يناديهم رجل من وراء (بكنيتانكينت) (٨٢)، ويصيح فيهم عند السجود (نكونيا نكوني) (٨٣).

كما حرص الخليفة عمر بن عبد العزيز (٩٩-١٠١هـ) على العمل بمبدأ التسامح مع الترك ، في ظل سياسة مرسومة لترغيب الناس في الإسلام ، فدعا إليه ملوك ماوراء النهر ، كما أمر عماله بنشره ، وقرر العطاء لمن دخل فيه ، وأسقط الجزية عمن أسلم (٨٤)، وقام بالدعوة إلى الإسلام بين الترك الجراح عبد الله بن معمر اليشكرى (٨٥)، وكان أن قام الأغنياء المجوس بالتعدى على المسلمين المشتغلين بدعوة الناس للصلاة في بخارى يوم الجمعة ، واقتلع المسلمون أبواب قصورهم ، وألحقوها بالمسجد (٨٦) في وقت كانت تشيع فيه الرغبة من قبل عامله الجراح في استخدام السيف لتحميل الترك على اعتناق الإسلام ، فأنكر الخليفة عمر بن عبد العزيز ذلك كله واستبدل عامله هذا بعبد الرحمن بن نعيم الغامدى على خراسان(٨٧)، وأحس الموالى بجدوى هذه السياسة ، فازدادوا ترغيبا في الإسلام الأمر الذي لم ينكره كتاب الغرب (٨٨).

واستمرت الدعوة السلمية بين الترك بعد عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز، ففي خلافة هشام بن عبد الملك (١٠٥-١٢٥هـ / ٧٢٤-٧٤٣م) (٨٩) ،دعا الوالى أشرس بن عبدالله (١٠٨-١١٠هـ / ٧٢٧-٧٢٩م) أهالى بخارى وسائر نواحي

ماوراء النهر إلى الإسلام ، (وأمر بطرح الجزية عمن أسلم، فسارعوا إلى الإسلام...)(٩٠).

ولما تولى نصر بن سيار خراسان من قبل الخليفة هشام بن عبد الملك (٩١) بالغ في تسامحه مع الترك ، فعفا عمن ارتد عن الإسلام ، وأسقط عنهم متأخرات الجزية والخراج وسعى في مسالمة أهل الصغد ، وأعاد الأمن على الحدود (٩٢) ، الأمر الذي يؤكد رغبة حكام بنى أمية في تعديل سياستهم تجاه الموالى التى انتهجوها بعد وفاة عمر بن عبد العزيز (٩٣) ليحولوا دون أن يكون لهذه السياسة أثرسيئ في مجال الدعوة إلى الإسلام ، ويعكس ذلك كله ماورواه الطبرى من أن ثمانين ألفا اعتنقوا الإسلام في عهد نصر بن سيار (٩٤).

وأورد النرشخي أن دهقانين من بخارى قد أعلنا اسلامهماعلى يد نصر بن سيار، وكان أن لجأ كل منهما يشتكيان من طغشادة بخارا خداة الذي اغتصب أملاكهما بقرى بخارى ، كما اشتكيا - أيضا - من واصل بن عمرو أمير بخارى الذي أخفق في رد الظلم عنهم (٩٥).

وكان نصر بن سيار يرى أن العدالة مع أهالى ما وراء النهر تقضى ، بأن يخضع بدو الترك الذين مثلوا الأغلبية بهذه النواحي ، ويذكر فامبرى أنه قد اصابه التوفيق لقوة جيشه وماكان عليه (من لين العريكة وميل إلى العدالة)(٩٦).

وثاني ما يقابلنا من سياسات حكام العرب تجاه اهالى بخارى في مجال الدعوة إلى الإسلام ، ما حرص عليه حكام بنى أمية من أن تقترن سياسة التسامح في مجال العقيدة بالعمل على بناء المساجد والربط والزوايا في سائر نواحي ما وراء النهر .

حرص الولاة العرب في عهد بنى أمية على اقامة المساجد في نواحى بخارى - بالذات - تلك الأماكن التي يكثر فيها السكان ، رغبة في اظهار رسالة المسجد في مجال الدعوة، ويذكر النرشخي (٩٧) أن المسجد كان غالبا مايكون في نواحي بخارى بالقرب من المدينة أو القرى تيسيرا على الناس حتى إذا قصد العدو هذه النواحي لايكون ساكنوها غائبين عنها .

وظهرت المساجد في بخارى منذ عهد قتيبة بن مسلم ، واقترنت هذه السياسة

بتشجيع العرب على ارتياد سائر القرى والنواحي البخارية رغبة في اختيار الاماكن المناسبة لتسكينهم ، وهكذا أقام قتيبة المساجد في نواحي أفشنة وفرب وزندنة(٩٨)، من بخارى ، وبيكند التي تميزت على ما دونها من سائر النواحي بمسجدها الذي أسهم في تخريج جيل من الدارسين في العلم الديني (٩٩).

أما المسجد الجامع في بخارى الذي وضع أساسه قتيبة سنة ٩٤هـ ، فكان بمثابة تاج الجوامع في ذلك الاقليم ، وكان من أثر ازدياد الراغبين في الإسلام أن ضاق هذا المسجد بالمصلين (١٠٠) ، وظل الأمر على تلك الحال إلى أن أضاف إليه ووسع فيه الفضل بن يحيى البرمكى الذي تولى خراسان سنة ١٧٨هـ زمن الخليفة هارون الرشيد (١٧٠-١٩٣هـ) (١٠١)، واهتم ببناء المساجد فيها ، وأحسن معاملة أهلها (١٠٢) .
أهلها(١٠٢).

ويرجع الفضل إلى قتيبة بن مسلم في احلال المساجد محل معابد الأصنام(١٠٣)، فضلا عن قيامه بإفساح المجال لبطون القبائل باتباع ماجرت به العادة من أن يقوم كل بطن ببناء مسجد للصلوات الخمس ، وهكذا عرف مسجد بنى حنظلة(١٠٤)، ومسجد بنى سعد (١٠٥).

ومما يجدر ذكره أنه كثيرا ما كانت المساجد في نواحي بخارى تقام في الاسواق أو قريبا منها الأمر الذي يعكس أهمية العامل التجارى في مجال الدعوة إلى الاسلام، ويظهر نسقا لتشجيع البخاريين على اعتناق هذا الدين ، بدليل أن الأسواق كانت تكثر كل يوم جمعة حيث يهبط الناس من خارج بخارى إلى هذه الاسواق ايام وسط الشتاء (١٠٦)، بل ظهر بمرور الوقت المساجد على رأس الطرق ، التي تربط بين المدن فيما وراء النهر (١٠٧).

وتميز المسجد في بخارى على عهد قتيبة بالبساطة ، واستخدم في بنائه الآجر ، ولنضرب مثلا بالمسجد الذي أقيم بناحية " فرب " من بخارى الذي بنى بالآجر دون استخدام الخشب (١٠٨) ، في حين أضيفت إلى المسجد الجامع الذي بناه قتيبة في بخارى سنة ٩٤هـ أبواب خشبية نقلت إليه من قصور الأغنياء بخارج المدينة(١٠٩).

أما عن تصميم المسجد في بخارى في تلك الفترة المبكرة فلا يختلف عن

تصميم المساجد الأولى في الإسلام ، فكان يشمل زمن بنائه الأول على رواق للقبلة ، وساحة (١١٠)، وادخلت عليه عدة تحسينات على يد الفضل بن يحيى البرمكي ، حيث أمر باستخدام القناديل في إضاءته ، وزاد عليه الأمير الساماني إسماعيل بن أحمد (٢٧٩-٢٩٥هـ) بمقدار الثلث ، أما المنارة فقد اضيفت إلى ذلك المسجد في سنة ٣٠٥هـ (١١١) ، والحق أن المآذن والمحاريب كانت قد أدخلت على المساجد الأولى في الإسلام في وقت لاحق على زمن الفتح (١١٢).

ويظهر أثر الفن الساساني في العمارة الإسلامية ، فالأبواب التي كسيت بالزخارف ونقلت إلى مسجد قتيبة من قصور الاغنياء ، تمثل الاساليب الفارسية أصدق تمثيل ، غير أن العرب تخلصوا من الرسوم التي لاتتفق والمقتضيات الإسلامية، ثم تأثروا بمرور الوقت بهذه الألوان الفنية وهضموها ، ومما ساعد على ذلك أن معابد الأصنام في بخارى كانت تشمل مظاهر معمارية تماثل ما تحتوي عليه المساجد من مظاهر ، كالصحن وبوائك الأعمدة ، وكان من أثر ذلك أن ظهر في وقت لاحق فن إسلامي خالص ينطوي على انفعال العرب بالمؤثرات الفارسية ، ولعل مسجد بيكند من بخارى يُعد انموذجا لهذا التمازج ، وذكر عنه ياقوت (قد زخرف محرابه ، فليس بما وراء النهر محراب مثله ولا أحسن زخرفة منه ...) (١١٣) ، ومما يجدر اعتباره ان قيام المسجد في بخارى بوظيفته في المجال العقائدي قد واكبه ازدياد ملموس في الإقبال على الإسلام من جانب البخاريين الذين بلغ بهم الأمر أن حاكوا العرب في بناء المساجد ، وظهرت هذه النتائج في القرن الثاني الهجري ، ونذكر على سبيل المثال الخواجه أبا حفص من موالي بني شيبان الذي ألحق بمنزله مسجدا صغيرا ، وظل يتعبد فيه إلى أن مات سنة ٢٠٤هـ (١١٤) .

أما الربط ، فقد أمدتنا المصادر بمعلومات عن كثرتها في نواحي بخارى منذ الفتح (١١٥) ، وأكثرها في بيكند التي تميزت عن سائر مدن بخارى بربطها(١١٦)، وقد أولع البخاريون بهذا المجال ، وازدادوا اهتماما به ، حتى خرج من بينهم في وقت لاحق نفر إلى اسفيجاب (١١٧) ، وأقاموا على أحد أبوابها - يعرف بباب بخارى - رباطا عرف برباط البخاريين (١١٨) ، جريا وراء ما سمعوه

عن أهل هذه المدينة ،(من دين متين ، وصلاح مبين ونسك وعبادة ...)(١١٩) ، ومن الثابت أن اشرس بن عبد الله السلمى والى بنى أمية كان أول من أنشأ الربط وعمل على تثبيت قدم الثقافة العربية في تلك النواحي (١٢٠)، واستمرت الربط تؤدى رسالتها الدينية والاجتماعية في بخارى فترة زمنية طويلة الأجل ، فروى النرشخي (١٢١) (أنه كان لبيكند أكثر من ألف رباط بتعداد قرى بخارى ...وقد بنى أهل كل قرية هناك رباطا ، واقاموا به جماعة ، وبعثوا بنفقاتهم إلى القرية) ، وذكر في موضع آخر بأنه (كان على بابها - يقصد بيكند - أربطة كثيرة حتى سنة اربعين ومائتين .

وكان من أثر هذه المنشآت أن ظهر الجيل الأول من العلماء الموالى في القرن الثاني الهجرى ، فأبو حفص كبير بخارى الذي اسلفنا الإشارة إليه ، كان قد بلغ في النصف من هذا القرن قدرا من العلم بحيث صار مستجاب الدعوة عند البخاريين الذين قصدوه من أجل العلم والدعاء في صومعته الملحقة بمنزله ولما مات سنة ٢١٧هـ دفن في تلك المحلة (١٢٢).

ويرجع الفضل إلى العلماء العرب في تخريج هذا الجيل لما اقدموا عليه من جهد مشكور في مجال العلم ، و صارت بخارى على أثر ذلك مقصدا لطلاب العلم ، والعلماء الذي أتوا إليها في القرن الثالث الهجري (١٢٣) ، حيث كان المتخصصون يقيمون حلقات التدريس في أصول الأدب والمنطق والرياضيات والعلوم الطبيعية إلى جانب العلوم الدينية (١٢٤) ، ومن الثابت أن دور بخارى في مجال العلم والأدب الذي نبع من جهود علمائها المشكورة كان من أسباب تسميتها بقبة الإسلام ، ويعود الفضل في تبوءُ بخارى لهذه المكانة في العالم الإسلامي إلى العالم الجليل الامام أبي حفص الكبير البخارى الذي ولد في بخارى سنة ١٥٠، وتوفى سنة ٢٩٧هـ، وفيه يذكر النرشخي (ولم يكن أحد مثله في الولاية ، وهو من جملة متأخرى بخارى، وكان زاهدا وعالما ايضا ، وقد صارت بخارى بسببه قبة الإسلام) (١٢٥).

وثالث ما يقابلنا من سياسات حكام العرب تجاه البخاريين ما أقبل عليه هؤلاء الحكام ابان الفتح من مواقف تجاه الرق تنطوى على تعاليم الإسلام ، ويتجلى ذلك

فيما أقدم عليه الفاتحون المسلمون من معاملة أسراهم بما ينطوى على الود واللين دون أن يظهروا رغبة فى الاسترقاق ، فكانوا يتخذون بشأنهم عدة أمور فتارة يمنون عليهم أو يطلقونهم ، أو يأخذون منهم مالا على سبيل الفداء ولم يقتلوا من بينهم الا من كان له رأى فى الحرب أو يسترقونه ، وقد استخدم قتيبة بن مسلم تلك السياسة (١٢٦) .

كان الاسترقاق يمثل آخر ما كان يلجأ اليه الفاتحون حينما يتخذون سياسية فى شأن أسراهم ، فحرص قتيبة بن مسلم الباهلى على اعادة الأسرى الذين استرقوا بعد وقوعهم فى أيدى الفاتحين (١٢٧) .

ولم يلجأ العرب فيما وراء النهر الى الاسترقاق الا ليلوحوا به فى وجه الاتراك الذين اوقعوا جند العرب فى الاسر ، وضموهم الى معسكرهم لكسب عدة مواقف اذا مادعت الضرورة الى ذلك ، غير ان بعض الولاه العرب قد بالغ فى تسامحه ، وذهب فى تعامله مع الترك الى ابعد مدى ، ذلك ان نصر بن سيار قد رغب فى مسالمة أعدائه واسترضائهم ، وبلغ به الأمر أن سمح بعدم رد أسرى المسلمين إلا بقضية قاصى وشهادة العدول (١٢٨) .

والحق أن سياسة قتيبة بن مسلم ومن جاء بعده من ولاة بنى أمية قد حالت دون ظهور أى معارضة من جانب الرقيق فى بخارى ، وكان البخاريون زمن العباسيين الأوائل يستطيبون على أثر ذلك حياتهم مع العرب فى يسر وسهولة ، ولما ادرك الترك - الذين تمردوا على العرب فى نواحى الصغر - أثر هذا التآلف ، أغاروا على بخارى مما اضطر البخاريين سنة ١٦٦ هـ الى طلب اعادة بناء سور المدينة على أن يفصل بين كل ميل وآخر برج قوى البنيان ، وتم لهم ما أرادوا ، حيث أشرف على هذا المشروع الكبير سعد بن خلف البخارى قاضى خارى (١٢٩) .

وقد أخذ رقيق بخارى حظا كبيرا من عناية العباسيين وظهرت الزوجات

التركيات في بيوت المسلمين فضلا عن الإماء والجوارى ، لما كان يقبل عليه هؤلاء من ميول إلى الجوارى التركيات ، حيث رغبوا في الارتباط بهن ، وأعطوا لهن مكانة خاصة بين سائر الإماء ، الأمر الذي يعكس نظرتهم تجاه الرقيق التي تنطوى على العطاء والود دون ازدراء (١٣٠).

قد كان تحويل القوى التركية المضادة إلى قوة في خدمة الإسلام عاملا هاما إلى إسلام الترك ، وادخال دماء جديدة في عالمه ، وظهرت آثار هذه السياسة منذ عهد قتيبة بن مسلم الذي ألزم بيوت الخادات - التي حوت أعدادا هائلة من الرقيق - باتباع اعمال تحترم الإسلام كعقيدة ومنهج ، وإن كانت القيادات بهذه البيوت قد عادت إلى وثنيتها في وقت لاحق لحداثة عهدها بالاسلام وسعيا وراء مقاصد سياسية وأخرى مادية ، وسرعان ماظهرت آثار هذه السياسة ، فاقترب الاتراك الغربيون وزعماؤهم في بخارى وسائر ما وراء النهر من الإسلام وبدأ الاتراك يثبتون حركة الجهاد بين جيرانهم الاتراك الشرقيين الذين خضعوا للنفوذ الصينى ويدينون بالبوذية ، وكان عهد الخليفة العباسي المعتصم (٢١٨-٢٢٧) خير دليل على ذلك ، وفي ذلك يذكر البلاذرى (١٣١) (حتى صار جل شهود عسكره من جند أهل ماوراء النهر من السغد والفراغنة والأشروسنة وأهل الشاش وغيرهم وحضر ملوكهم بابه ، وغلب الإسلام على ماهناك ، وصار أهل تلك البلاد يغزون مَن وراءهم من الترك ... ففتح مواضع لم يصل إليها أحد قبله).

كان طبيعيا أن يواكب هذا الأثر في مجال نشر الدعوة مسيرة للثقافة الاسلامية ، وهكذا لم تعد ثقافة الوافدين من العرب فحسب ، بل شارك الترك العرب مشاركة هادفة جعلت الاختلاط بينهما اندماجيا حضاريا ، أسهم في اثراء الترك لهذه الثقافة ، بل وأضافوا إليها الكثير والكثير ، وسرعان ما نمت بين ظهرانيهم اللغة الفارسية الإسلامية (الدرية) المتداولة حاليا ، في محيط إسلامي جديد ليس فيه أثر للزرادشتية والبوذية ، وليس أدل على ذلك من تلك الدهشة التي أبداها المقدسي من بقاء أربعمائة جارية تركية في عصره في بلاد ماوراء النهر كلن فيهن (شبه من الترك) ، ويقصد بطبيعة الحال حرصهن على عادات وتقاليد تركية محاها

الإسلام(١٣٢).

ورابع ما يقابلنا من سياسات حكام العرب تجاه البخاريين ، تشجيعهم للنشاط التجارى ، وكانت البخارية الذين قدموا مع عبيدالله بن زياد إلى البصرة قد استطابوا حياتهم المدنية ، وارتادوا أسواق البصرة ، وشاركوا بطبيعة الحال في ترقية الصلات التجارية مع أهل هذه المدينة ونشطت على أثر ذلك المعاملات فيما بينهم ، ومما ساعد هؤلاء على المضي قدما في هذا السبيل أن هذا النوع من المناشط كان يمثل أمرا محوريا للأهلين تدور حوله أمورهم الحياتية ، ونستخلص من المصادر أن الربط التي كان يقيم فيها الغرباء بين أهالي بخارى كانت تسهم بشكل فعال في رواج التجارة، وتنشيط التبادل بين أهالي بخارى وسائر نواحيها والاقاليم المجاورة لها (١٣٣)، ومما يدعو إلى الاعتبار أن النرشخي قد ركز على أهمية العامل التجارى بين أهالى بخارى بقدر لافت للنظر حتى بلغ به الأمر أن ذكر عن ناحية شرغ من بخارى ما نصه (وكانت التجارة رائجة - يقصد زمن بنى أمية - أما اليوم في زماننا فتقام السوق كل يوم جمعة ويقصدها التجار من المدينة ونواحيها) الأمر الذي ينهض دليلا على أن التجارة في بخارى إبان مرحلةالفتح على عهد الأمويين كانت تنطلق من سياسة التشجيع المقصود من جانب الولاة إذ ذاك مما يعكس آثار ذلك الدور في عملية المزج بين العنصرين العربي والتركي توطئة لخلق مناخ صحي للدعوة إلى الإسلام .

أما مجال التجارة الخارجية فقد عول البخاريون على الاهتمام به - وبالذات - منذ أن استقر العرب في بخارى ، فأخذوا يقصدون الطرق التجارية القديمة منذ القرن الثاني الهجري، فعبروا طرق آسيا الوسطى ، واهتموا بالطريق المؤدي إلى بلاد الصين، وكانت بخارى همزة الوصل بين قوافل الصين وقوافل العراق وايران وآسيا الغربية(١٣٤) ، وأوجد ذلك كله فرصة أمام التاجر المسلم والمطوعة للجهاد في سبيل نشر الدعوة ، وساعد المسلمين على ذلك أن الصين منذ عهد أسرة تانغ (٦١٨-٩٠٥)م لم تكف عن الرغبة في نشر اطماعها في بلاد ماوراء النهر لما لهذه البلاد من ثراء ملموس جعل الجغرافيين والرحالة أمثال اليعقوبي (١٣٥) وابن رسته (١٣٦) والقزوينى (١٣٧) يسهبون في الحديث عن خصوبة هذه البلاد ووفرة مزارعها ضمن

كتاباتهم ، وكانت هذه الرغبة من جانب الصين دافعا امام العرب إلى حض الاتراك على دره الخطر الصيني الذي كان شديد الوطأة عليهم ، ولم يكف الولاة العرب عن تشجيع هؤلاء على الجهاد ، والمشاركة فيه لتقويض ذلك الخطر(١٣٨)، ونتج عن ذلك كله أن استقر العرب بعد محاولات في بلاد الصين نفسها منذ نهاية القرن الثاني الهجرى ، حيث تبادلوا التجارة مع أهالي هذه البلاد ، وروجوا لتعاليم الاسلام (١٣٩) ، ومما لاشك فيه ان العرب تأثروا بالأساليب الصينية والنظم التي زخرت بها حضارة الصين منذ زمن بعيد (١٤٠) ، وقد يسر على العرب المضى في هذا الميدان ماجرى على عهد السامانيين من تبادل دبلوماسي مع الصين كان من أهم نتائجه أن صار الطريق بين الصين وبخارى آمنا مما يسر على التجار أمر ارتياد ذلك الطريق والمساهمة في نشر الإسلام على حدود الصين (١٤١).

و صفوة القول أن اتمام فتح اقليم بخارى في عهد قتيبة بن مسلم الباهلي قد لازمه محاولات فعالة بذلها العرب لنشر الاسلام في تلك النواحي ابان حكم عربي دعا إلى ضرورة اسكان العرب بين ظهراني الترك ، في ظل سياسة تستهدف نشر الإسلام في غير بلاد الإسلام ، وقد رأينا مدى النجاح الذي احرزه العرب في بخارى باتباعهم لتلك السياسة والتي ظهرت آثارها بوضوح في وقت لاحق على مرحلة الفتح .

الهوامش

١ - البلاذري : المصدر نفسه ،. صفحة ٣٩٦.

٢ - هو بريدة بن الحصيب بن عبد الله بن الحارث بن الأعرج بن سعد بن رزاخ بن عدى بن سهم بن مازن بن الحارث بن سلامان بن أسلم من بنى اسلم بن أفصى ابن عامر (ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ص ٢٤٠) .

٣ - يرجع نسبه إلى بني أسلم بن أفصى بن عامر .

٤ - البلاذري : المصدر نفسه ، ص ٣٩٧ .

٥ - ابن حزم :جمهرة انساب العرب ، ص ٢٤٠.

٦ - ابن حزم : المصدر نفسه والصفحة .

٧ - البلاذري : المصدر نفسه ، ص ٣٩٧ .

٨ - ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٣٥٦ .

٩ - البلاذري : المصدر نفسه ، ص ٣٩٩ .

١٠- البلاذري : المصدر نفسه والصفحة .

١١- تاريخ الأمم والملوك ،. ج ٣ ، ص ٥١٤ .

١٢- يرجع نسبه إلى العتيك بن الأزد بن عمرو ، أبوه المهلب بن أبي صفرة ، ومن ولده معاوية والمهلب ، وعمرو ، وحبيب ، ومحمد ، وخالد ، وعبدالرحمن (ابن حزم : المصدر نفسه ، صفحة ٣٦٨).

١٣- ورد في المصادر المفضل بن المهلب ، وله من الولد عثمان وحيان وغسان وحاجب وغيرهم (البلاذري : المصدر نفسه ، ص ٤٠٤ - ابن حزم : المصدر نفسه ، ص ٣٦٩).

١٤- البلاذري : المصدر نفسه والصفحة .

١٥- المصدر نفسه ، ج ٣ ، صفحة ٥١٥ .

١٦- بكسر الميم وياء وألف ، من نواحي الجبال بين بلخ وهراة وغزنة (ياقوت : المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٣٣٠).

١٧- المقدسي : أحسن التقاسيم ، صفحة ٢٩٣.

١٨- الطبرى : المصدر نفسه ، ج ٣ ، ص ٥٦٨ .

١٩- حسن محمود : المرجع نفسه ، ص ١٤٦ .

٢٠- الطبرى : المصدر نفسه ، ج ٣ ، ص ٥٢٤/ ٥٢٥ .

٢٢- البلاذرى : المصدر نفسه ، ص ٤٠٧ .

٢٣- ابن عبد الحكم : فتوح مصر واخبارها ، صفحة ١٢٨ .

٢٤- سعيد نفيسي : المرجع نفسه ، صفحة ٢٥ .

٢٥- النرشخي : المصدر نفسه ، صفحة ٧٣ .

٢٦- ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ٧ ، صفحة ١٦٧ .

٢٧- المرجع نفسه ، ص ١٥.

٢٨- قسم النسابون عدنان إلى فرعين كبيرين ربيعة ومضر ، واشهر قبائل ربيعة أسد ووائل ، وأما مضر ، فأشهر قبائلها قيس عيلان ، وتميم ، وهذيل ، وكنانه (ابن حزم : المصدر نفسه ، ص ٩ ، ١٠ ، ١١).

ويرى النسابون أن اليمنيين ينتسبون إلى أبيهم قحطان الذي منه جاء كهلان وشعب حمير ، وينتسب إلى كهلان طيء والأزد وهمدان وجزام ، أما شعب حمير ، فأشهر قبائله قضاعه ، وتنوخ وكلب وجهينة (ابن حزم : المصدر نفسه، ص ٣٢٩ ، ومابعدها .

٢٩- حول تقسيم مدينة بخارى بين العرب على عهد قتيبة بن مسلم ، انظر النرشخي : المصدر نفسه ، ص ٨٠، ٨١ .

يذكر النرشخى أن محلة القصر هذه كان يقطن بها أمراء بخارى على الرغم من تبعيتها بعد الفتح إلى العرب (انظر المصدر نفسه والصفحات) .

٣٠- كان للمدينة سبعة ابواب ، اشهرها باب السوق وباب العطارين وباب بون وباب المدينة (النرشخي : المصدر نفسه ، ص ٨٥).

٣١- المصدر نفسه ، صفحة ٨٢ .

٣٢- النرشخي : المصدر نفسه ، صفحة ٨٢ ، وحول ربيعة انظر (البكرى معجم ماستعجم ، ج ١ ، ص ١٨).

٣٣- حول بنى اسد بن ربيعه انظر ابن حزم : المصدر نفسه ، صفحة ٢٩٢-٢٩٣.

٣٤- النرشخى : المصدر نفسه ، ص ٨٢ .

٣٥- يقصد به عبد القيس بن أفصى بن دعمى بن حديله بن أسد بن ربيعة بن نزار (الكلبى : نسب معد واليمن الكبير ، ص ١٠١ - ابن حزم : المصدر نفسه ، ص ٢٩٥).

٣٦- الطبرى : المصدر نفسه ، ج ٣ ، ص ٥٦٨ .

٣٧- الطبرى : المصدر نفسه والصفحة .

٣٨- ابن حزم : المصدر نفسه ، ص ٢٩٦ .

٣٩- وهم بنو وائل بن قاسط بن هيت بن أفصى بن دعمى بن حديلة بن اسد بن ربيعة بن نزار (ابن حزم : المصدر نفسه ، ص ٣٠٢ ومابعدها).

٤٠- المصدر نفسه : ج ٣،. ص ٥٦٨ .

٤١- الطبرى : المصدر نفسه ، والصفحة .

وهو الحضين بن المنذر بن الحارث بن وعلة بن المجاهد بن اليثربي بن الريان بن الحارث بن مالك بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة ، وكان صاحب راية ربيعة كلها في جيش على - رضى الله عنه - يوم صفين ، وطال عمره حتى أدرك خلافة سليمان بن عبد الملك (الكلبى : جمهره النسب ، صفحة ٥٣٠ - ابن حزم : المصدر نفسه ، ص ٣١٧).

٤٢- ابن حزم : المصدر نفسه ، ص ١٠ .

٤٣- ابن حزم : المصدر نفسه ، ص ٣١٧ .

٤٤- الشهرستانى : الملك والنحل ، ج ١ ، ص ١٤٩.

٤٥- ابن حزم : المصدر نفسه ، ص ٣١٧ .

٤٦- الكلبى : جمهرة النسب ، ص ٤٠١ وابن قتيبة : المصدر نفسه ، ص ٤١٨.

وابن حزم : المصدر نفسه ، ص ٢٦٢و ٢٦٣ ، وحول مضر انظر (البكرى : معجم ما استعجم ، ج ١ ، ص ١٨).

٤٧- الطبرى : المصدر نفسه ، ج ٣ ، ص ٥٢٨ .

وينتسب بنو ملكان إلى افصى بن عامر بن الياس بن مضر - انظر ابن حزم : المصدر نفسه ، ص ٢٤٢.

٤٨- الطبرى : المصدر نفسه والصفحة .

٤٩- الطبرى : المصدر نفسه والصفحة .

٥٠- حول نسب بنى اسلم انظر ابن حزم : المصدر نفسه ، ص ٢٤٠.

٥١- راجع ما أوردناه في بداية هذا الفصل .

٥٢- هم بنو سعد بن قيس عيلان بن مضر .

٥٣- ابن حزم : المصدر نفسه ، ص ٢٤٥ و ٢٤٦.

٥٤- هو أبو حفص بن أبي صالح مسلم بن عمرو بن الحصين بن ربيعة بن خالد بن أسيد الخير بن هلال بن سلامة بن ثعلبة بن وائل بن معن بن مالك بن المضر بن سعد بن قيس عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان (ابن خلكان : وفيات الأعيان : ج ٣ ، صفحة ٨٦).

وانظر أيضا ابن قتيبة : المعارف ، ص ٤٠٦ و٤٠٧.

٥٥- الطبرى : المصدر نفسه ، ج ٣ ، صفحة ٥٣٤.

٥٦- النرشخي : المصدرنفسه ،، ص ٨٠ .

٥٧- النرشخي : المصدر نفسه ، ص ٨٢ .

٥٨- هم بنو تميم بن مر بن أد ، ويصف النسابون تميم ، بأنها من أكبر قواعد العرب ، ومن ولد تميم الحارب وعمرو وزيد مناة (الكلبى : جمهرة النسب ، ص ١٩١ ومابعدها - ابن حزم : المصدر نفسه ، ص ٢٧١).

٥٩- الطبرى : المصدر نفسه ، ص ٥٣٤ .

٦٠- حول نسب بنى قريع راجع ابن حزم : المصدر نفسه ، ص ٢١٩.

٦١- الطبرى : المصدر نفسه ، ج ٣ ، ص ٥٣٤ .

٦٢- ابن حزم : المصدر نفسه ، ص ٢٢٩ .

٦٣- ابن حزم : المصدر نفسه ، ص ٢٣١ .

٦٤- ابن حزم : المصدر نفسه ، ص ٢٣١ .

٦٥- الطبرى : المصدر نفسه ، ج ٣ ، صفحة ٥٣٤- ابن الاثير : المصدر نفسه ، ج ٥ حوادث سنة ٩٦ هـ.

٦٦- الكلبي: جمهرة النسب، ص.٢٢٠ - ابن خلكان:نفسه، ج ٤، صفحة ٨٧ . ٨٨.

٦٧- حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام ، ج ١ ، ص ٣٠٤.

٦٨- حول الخليفة عبد الملك بن مروان ، انظر السيوطى : تاريخ الخلفاء ص٨٤-٩٥.

٦٩- الطبرى : المصدر نفسه ،ج٣ ، صفحة ٥٦٨ ، وحول الأزد : انظر الكلبى : نسب معد واليمن الكبير ، ص ٣٦١-٣٦٢، وجمهرة النسب ، ص ٦١٥ ومابعدها.

٧٠- الطبرى : المصدر نفسه والصفحة .

٧١- المصدر نفسه ، صفحة ٣٦٨ و ٣٦٩و٣٧٠.

٧٢- النرشخي : المصدر نفسه ، ص ٨٠ .

٧٣- Holt , Lambton , Bernard Lawis: Op.Cit, P.89.

٧٤- فامبرى : المرجع نفسه ، صفحة ٦٧.

٧٥- الطبرى : المصدر نفسه ، ج ٣ ، ص ٥٣٠.

٧٦- النرشخي : المصدر نفسه ، ص ٧٠.

٧٧- النرشخي : المصدر نفسه ، ص ٢٤ و ٨٧ و ٨٨.

٧٨- النرشخي : ص ٨١ .

٧٩- النرشخي : المصدر نفسه ، ص ٨١ .

٨٠- المصدر نفسه ، ص ٧٠ .

٨١- النرشخي : المصدر نفسه ، ص ٥٠ .

٨٢- بمعنى اركع ، انظر : النرشخي : المصدر نفسه ، ص ٧٤ - نفيسي : المرجع

نفسه ، ص ٣٠ .

٨٣- بمعنى قسم ، انظر : النرشخي : المصدر نفسه والصفحة - نفيسي : المرجع نفسه والصفحة .

٨٤- البلاذري : المصدر نفسه ، صفحة ٤٤١.

٨٥- البلاذري : المصدر نفسه ، صفحة ٤٤١.

٨٦- النرشخي : المصدر نفسه ، ص ٧٤.

٨٧- البلاذري : المصدر نفسه ، ص ٤١١ .

٨٨- Holt , Lambton , Bernard Lawis : Op.Cit.Vol. IA, P.91.

٨٩- انظر ابن قتيبة : المصدر نفسه ، ص ٣٦٥.

٩٠- البلاذري : المصدر نفسه ، ص ٤١٣ .

٩١- ابن قتيبة : المصدر نفسه ، ص ٤٠٩ .

٩٢- الطبري : المصدر نفسه ، ج ٤ ، ص ٩٧ .

٩٣- اتبع الأمويون بعد وفاة الخليفة عمر بن عبد العزيز سياسة تنطوي على الشدة في فرض الضرائب تعويضا لذلك النقصان الذي طرأ على مالية الدولة (اليعقوبي: المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ٣١٣).

٩٤- الطبري : المصدر نفسه ، ج ٤ ، صفحة ٩٩ .

٩٥- النرشخي : المصدر نفسه ، صفحة ٨٩، ٩٠.

٩٦- فامبري : المرجع نفسه ، صفحة ٧٧.

٩٧- النرشخي : المصدر نفسه ، ص ٧٨.

٩٨- النرشخي : المصدر نفسه ، صفحات ٣١ ، ٣٢ ، ٣٦.

٩٩- حول هذه الجزئية ، انظر : النرشخي : المصدر نفسه ، ص ٣٤و٣٥ - الاصطخري: المصدر نفسه، ص٣١٤- ياقوت:المصدر نفسه ، ج ١ ، ص٥٣٣.

١٠٠- النرشخي : المصدر نفسه ، ص ٧٥.

يعتبر هذا المسجد من أهم أثار بخارى الإسلامية ، وقد حُول بعد الثورة البلشفية إلى متحف ومكتبة ، ووضعت امامه تماثيل ، وسميت المكتبة

(مكتبة ابن سينا).

١٠١- ابن طباطبا : الفخرى في الآداب السلطانية ، ص ١٨٢ و ١٨٣.

١٠٢- ابن طباطبا : المصدر نفسه والصفحات .

١٠٣- سعيد نفيسي : المرجع نفسه ، ص ١٤ .

١٠٤- سعيد نفيسي : المرجع نفسه ، ص ٢٥ ، وينتسب بنو حنظلة إلى تميم (انظر: الكلبي : جمهرة النسب ، ص ١٩٣ ، ١٩٤)

١٠٥- سعيد نفيسي : المرجع نفسه ، ص ٢٦ .

١٠٦- النرشخي : المصدر نفسه ، ص ٣٠ .
وانظر أيضا - المقدسي : المصدر نفسه ، ص ٣٧٤ ، ٣٧٥ و ٣٧٨.

١٠٧- المقدسي : المصدر السابق ، ص ٣٧٧.

١٠٨- النرشخي : المصدر نفسه ، ص ٣٦ .

١٠٩- النرشخي : المصدر نفسه ، ص ٧٤ .

١١٠- النرشخي : المصدر نفسه ، ص ٧٥ .

١١١- النرشخي : المصدر نفسه والصفحة .

١١٢- Creswell : Early Muslm Architecture , Vol. 1,P. 98 ,99.

١١٣- المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٥٣٣.

١١٤- سعيد نفيسي : المرجع نفسه، صفحة ٢٧ .

١١٥- القزوينى : آثار البلاد في اخبار العباد ، ص ٥٥٨.

١١٦- الاصطخري : المصدر نفسه ، ص ٣١٤ - النرشخي : المصدر نفسه ، ص٣٤. - ياقوت : المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٥٣٣ .

١١٧- بالفتح ثم السكون وكسر الفاء وياء ساكنة وجيم وألف ، بلده فيما وراء النهر، وقراها كالمدن وهي من نواحي الاقليم الخامس . (ياقوت : المصدر نفسه : ج ١ ، صفحة ١٧٨ و ١٧٩).

١١٨- المقدسي : المصدر نفسه ، ص ٢٧٢ و ٢٧٣.

١١٩- المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ١٧٩.

١٢٠- حسن محمود : المرجع نفسه ، ص ١٥٤ .

١٢١- المصدر نفسه : ص ٣٤ .

١٢٢- سعيد نفيسي : المرجع نفسه ، ص ٢٧ .

١٢٣- البيهقي : تاريخ حكماء الإسلام ، ص ٥٢ و ٥٣ .

١٢٤- البيهقي : المصدر نفسه والصفحات .

١٢٥- النرشخي : المصدر نفسه ، ص ٨٢ .

١٢٦- النرشخي : المصدر نفسه ، ص ٧٠ .

١٢٧- النرشخي : المصدر نفسه والصفحة .

١٢٨- الطبرى : المصدر نفسه ، ج ٤ ، صفحة ٩٧ .

١- سعيد نفيسي : المرجع نفسه ، ص ٢٩ و ٣٠ .

١- حول هذه الجزئية ، انظر : أحمد أمين : ضحى الإسلام ، ج ١ ، ص ٨٩ - حسن إبراهيم حسن - المرجع نفسه ، ج ٢ ، ص ٣٩٩.

١٣١- المصدر نفسه ، صفحة ٤١٦.

١٣٢- المقدسي : المصدر نفسه ، ص ٣٨٥ .

١٣٣- النرشخي : المصدر نفسه ، ص ٣٠ .

١٣٤- بدر الدين حي الصيني : العلاقات بين العرب والصين ، صفحات ٨ - ١٢.

١٣٥- البلدان ، ص ٢٩٢ - ٢٩٥ .

١٣٦- الاعلاق النفيسة ، ص ٨٦ و ٨٧.

١٣٧- المصدر نفسه ، اشاراته حول بلاد ماوراء النهر ، ص ٥٥٧و ٥٥٨.

١٣٨- البلاذرى : المصدر نفسه ، ص ٤١٦.

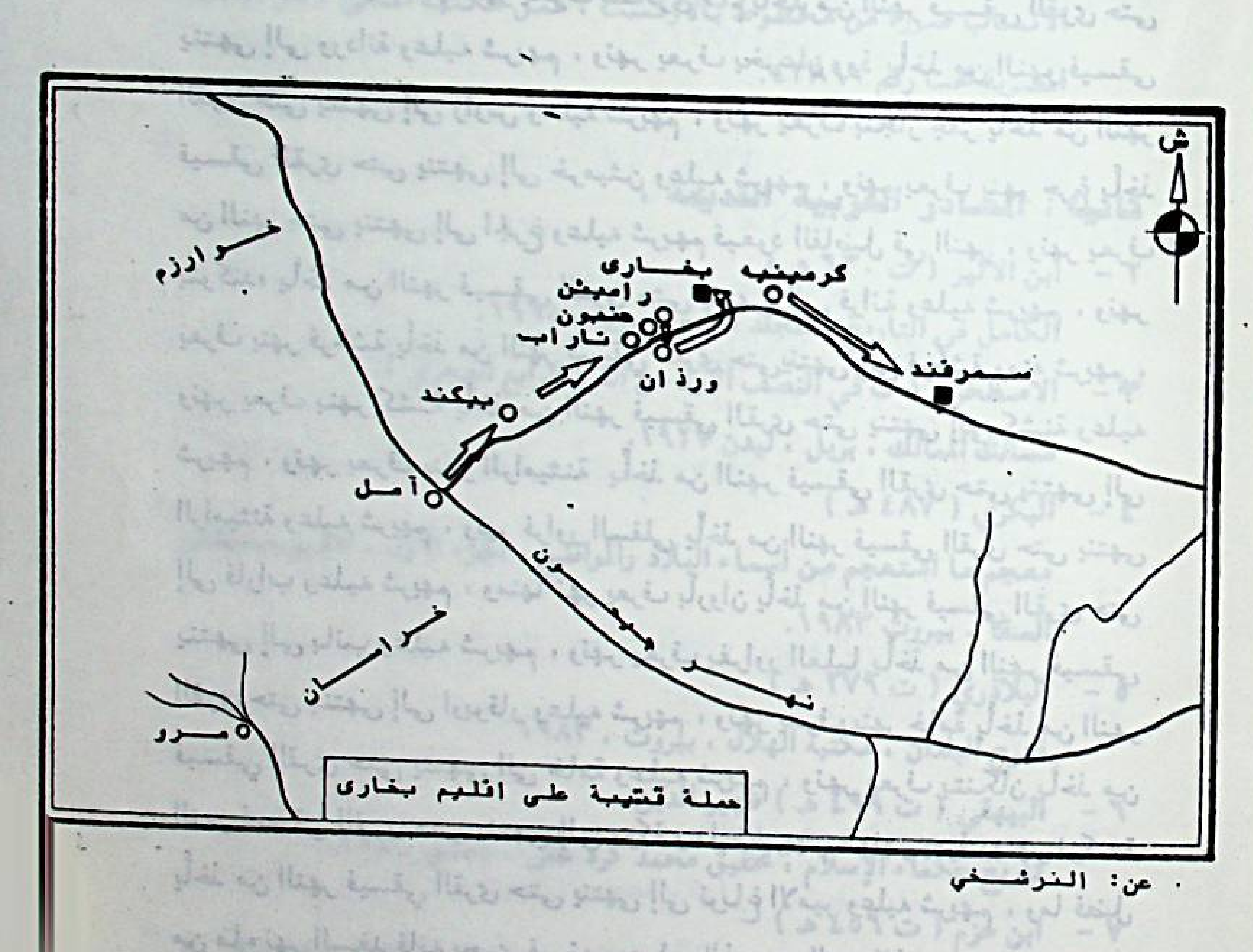
١٣٩- حسن ابراهيم : المرجع نفسه ، ج ٢ ، ص ٣١٥.

١٤٠- Arnold : Painting in Islam , P.56.

١٤١- Bosworth : An Alleged Embassy From the Emperor of China to the Amir Nasr B, Ahmad , P.1-4.

ملاحق الكتاب

ملحق رقم (١)



حملة قتيبة على اقليم بخارى

عن: النرشخي

ملحق رقم (٢) *

انهـــار بخـــارى

ينتهي إلى باب المدينة انهار كثيرة تتفرق في القرى والمزارع في الحائط وعليها عمارة قرى بخارى،فمنها نهر يعرف بسافرى كام يأخذ من النهر فيسقى القرى حتى ينتهى إلى وردانة وعليه شربهم ، ونهر يعرف بخرعان روذ يأخذ من النهر فيسقى القرى حتى ينتهى إلى راوس وعليه شربهم ، ونهر يعرف بنجار جفر يأخذ من النهر فيسقي القرى حتى ينتهى إلى خرميثن وعليه شربهم ، ونهر يعرف بنهر جرغ يأخذ من النهر حتى ينتهى إلى الجرغ وعليه شربهم فيعود الفاضل في النهر ، ونهر يعرف بنوكنده يأخذ من النهر فيسقي القرى حتى ينتهى إلى فرانة وعليه شربهم ، ونهر يعرف بنهر فرخشة يأخذ من النهر فيسقي القرى حتىينتهى إلى فرخشة ومنه شربهم ، ونهر يعرف بنهر كشنة يأخذ من النهر فيسقي القرى حتى ينتهى إلى كشنة وعليه شربهم ، ونهر يعرف بنهر الراميثنة يأخذ من النهر فيسقي القرى حتى ينتهى إلى الراميثنة وعليه شربهم ، ونهر فراور السفلى يأخذ من النهر فيسقي القرى حتى ينتهى إلى فاراب وعليه شربهم ، ومنها نهر يعرف بأروان يأخذ من النهر فيسقي القرى حتى ينتهى إلى بانب وعليه شربهم ، ونهر يعرف بفراور العليا يأخذ من النهر فيسقى القرى حتى ينتهى إلى اويوقار وعليه شربهم ، ونهر يعرف بنهر خامة يأخذ من النهر فيسقي القرى حتى ينتهى إلى خامة وعليه شربهم ، ونهر يعرف بتنكان يأخذ من النهر فيسقى القرى حتى ينتهى إلى وركة وعليه شربهم ، ونهر يعرف بنهر نوكندة يأخذ من النهر فيسقي القرى حتى ينتهى إلى نوباغ الامير وعليه شربهم ، وما فضل من ماء نهر السغد فانه يجري في نهر يعرف بالذر وهو النهر الذي يشق ربض بخارى ومنه انهار المدينة التي ذكرناها ، واكثر هذه الانهار تحمل السفن كبراه وغزارة وكلها تأخذ من النهر داخل حائط بخارى،من حد الطواويس إلى أن ينتهي إلى المدينة .

(*) عن الاصطخرى ، المصدر نفسه ، ص ٣١٠-٣١٣.

المصادر والمراجع

أولا : المصادر المخطوطة القديمة :

١ - السمعاني (ت ٥٦٢ هـ)

الانساب صورة من مخطوط بالأوفست ، عمل مكتبة المثنى ، دار الكتب المصرية تحت رقم ٤٣٨٩١.

ثانيا : المصادر العربية القديمة :

٢ - ابن الأثير (ت ٦٣٠ هـ)

الكامل في التاريخ ، المجلد الرابع ، بيروت ١٩٦٥.

٣ - الاصطخرى (ت في النصف الأول من القرن الرابع الهجري).

مسالك الممالك ، بريل ، ليدن ١٩٢٧.

٤ - البكري (٤٨٧ هـ)

معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ، الجزء الأول ، تحقيق مصطفى السقا ، بيروت ١٩٨٣.

٥ - البلاذري (ت ٢٧٩ هـ)

فتوح البلدان ، مكتبة الهلال ، بيروت ، ١٩٨٣.

٦ - البيهقي (ت ٤٩٩ هـ) ظهير الدين

تاريخ حكماء الإسلام ، تحقيق محمد كرد على ، دمشق ١٩٤٦.

٧ - ابن حزم (ت ٤٥٦ هـ)

جمهرة أنساب العرب تحقيق عبد السلام محمد هارون ، الطبعة الرابعة ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٦٢.

٨ - ابن حوقل (عاش في القرن ٤ هـ / ١٠م)

صورة الأرض ، دار مكتبة الحياة ، بيروت .

٩ - ابن خرداذبة (ت في حدود ٣٠٠ هـ)

المسالك والممالك ، ليدن ١٨٨٩م.

١٠- ابن خلدون (ت ٨٠٦ هـ)

المقدمة ، بيروت ١٩٦١.

١١- ابن خلكان (ت ٦٨١ هـ)

وفيات الأعيان ، ج ٤ ، تحقيق احسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ١٩٧١.

١٢- ابن رستة (ت ٢٩٥ هـ)

الاعلاق النفيسة ، ليدن ١٨٩١.

١٣- السيوطي (ت ٩١١ هـ)

تاريخ الخلفاء ، مصر ١٣٥١ هـ .

١٤- الشهرستاني (٥٤٨ هـ).

الملل والنحل ، الجزء الأول ، القاهرة ١٣١٧ هـ .

١٥- ابن طباطبا (٧٠٩ هـ)

الفخري في الآداب السلطانية ، القاهرة ١٩٢٧.

١٦- الطبرى (ت ٣١٠ هـ)

تاريخ الأمم والملوك

ثلاثة مجلدات ٢ ، ٣ ، ٤ ، الطبعة الأولى (مؤسسة عز الدين)، بيروت ١٩٨٥ .

١٧- ابن قتيبة (ت ٢٧٦ هـ)

المعارف ، تحقيق ثروت عكاشة ، الطبعة الرابعة ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٦٩.

١٨- القزويني (ت ٦٨٢ هـ)

" آثار البلاد واخبار العباد " ، دار صادر ، بيروت .

١٩- الكلبى (ت ٢٠٤ هـ)

جمهرة النسب ، تحقيق ناجى حسن ، الطبعة الأولى ، بيروت ١٩٨٦.

٢٠- الكلبي (ت ٢٠٤ هـ)

نسب معد واليمن الكبير ، تحقيق ناجى حسن ، الطبعة الأولى ، بيروت ١٩٨٨.

٢١- ابن كثير (ت ٧٧٤ هـ)

البداية والنهاية ، ج ٧ ، الطبعة السادسة ، مكتبة المعارف ، بيروت ، ١٩٨٥.

٢٢- الماوردى (ت ٤٥٠ هـ)

الأحكام السلطانية ، القاهرة ١٢٩٧ هـ .

٢٣- المقدسي (٣٨٨ هـ)

أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، بريل ، ليدن ١٩٠٦ .

٢٤- النرشخي (٢٨٦ - ٣٤٨ هـ)

تاريخ بخارى ، عربه عن الفارسية وقدم له وحققه وعلق عليه أمين عبد المجيد بدوى ونصر الله مبشر الطرازي ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٦٥.

٢٥- ياقوت الحموى (ت ٦٢٦ هـ)

معجم البلدان ، أربعة اجزاء ١ و ٢ و ٣ و ٥ ، دار صادر ، ودار بيروت ، بيروت .

٢٦- اليعقوبي (ت ٢٨٢ هـ)

تاريخ اليعقوبي ، المجلد الثاني ، بيروت ١٩٦٠ .

٢٧- ----- البلدان ، ليدن ١٨٩١.

ثالثا : مصادر فارسية قديمة :

٢٨- رضا قلى خان هدايت (من اعلام العصر القاجارى)

رياض العارفين ، طهران ، ١٣٤١ هـ ش .

٢٩- عطا ملك الجوينى (ت ٦٨١ هـ)

تاريخ جهانكشاى (تاريخ فاتح العالم) طبعة أوقاف جيب ، المجلد الأول ، ليدن ١٩١٢.

رابعا : المراجع العربية الحديثة :

٣٠- أحمد أمين

ضحى الإسلام ، الجزء الأول ، القاهرة ١٩٣٣.

٣١- بدر الدين حى الصينى

العلاقات بين العرب والصين ، القاهرة ١٩٥٠.

٣٢- حسن إبراهيم حسن

تاريخ الإسلام السياسي والدينى والثقافي والاجتماعي

الجزء الأول ، القاهرة ١٩٨٥.

الجزء الثانى ، القاهرة ١٩٨٠.

٣٣- حسن أحمد محمود

الإسلام في أسيا الوسطى ، القاهرة ١٩٧٢.

٣٤- فامبرى (ارمنيوس)

تاريخ بخارى منذ اقدم العصور حتى العصر الحاضر ، ترجمه وعلق عليه أحمد محمود الساداتي ويحيى الخشاب ، مطابع شركة الاعلانات الشرقية ، القاهرة.

٣٥- لسترنج (كي)

بلدان الخلافة الشرقية، ترجمة بشير فرنسيس وكوركيس عواد ، الطبعة الثانية، نشر مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٩٨٥.

٣٦- محمد جمال الدين سرور

الحياة السياسية في الدولة العربية الإسلامية خلال القرنين الأول والثاني بعد الهجرة ، القاهرة ١٩٦٠.

خامسا : المراجع الفارسية الحديثة :

٣٧- سعيد نفيسي

محيط زندكى وأ حوال وأشعار رودكى (نشأة وتاريخ حياة "الشاعر" الرودكى

واشعاره) ، نشر مكتبة ابن سينا ، طهران سنة ١٣٤٤هـ ش .

٣٨- لغت نامة

لغت نامة دهخذا (دائرة المعارف الايرانية) ، عدد مسلسل ١٥٠ ، نشر جامعة طهران سنة ١٣٤١ هـ ش .

سادسا ، المراجع الأجنبية ،

39- Arnold :
Painting in Islam , OxFord 1928.

40- Bosworth :
An Alleged Embassy From the Emperor of China to the Amir Nasr, B, Ahmad, Tehran 1969.

41- Creswell , RAC, Early Muslim Architecture , Vol. 1 , OxFord 1930.

42- Gibb Sir Hamilton : The Arab Conquests in Centeral Asia , London , 1923.

43- Holt , kambton , and Bernard Lawis , the Cambridge History of Islam , Vol. IA, Cambridge University Press.

39- Arnold:
Painting in Islam, OxFord 1928.
40- Bosworth:
An Alleged Embassy From the Emperor of China to the Amir Nasr, B. Ahmad, Tehran 1969.
41- Creswell, K.A.C. Early Muslim Architecture, Vol. 1, OxFord 1930.
42- Gibb Sir Hamilton: The Arab Conquests in Central Asia, London, 1923.
43- Holt, kambton, and Bernard Lawis, the Cambridge History of Islam, Vol. IA, Cambridge University Press.

ترجمه وعلق عليه أحمد محمود الساداتي ويحيى الخشاب، مطابع شركة الإعلانات الشرقية، القاهرة.

٣٥- لسترنج (كي)
بلدان الخلافة الشرقية، ترجمة بشير فرنسيس وكوركيس عواد، الطبعة الثانية، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٨٥.

٣٦- محمد جمال الدين سرور
الحياة السياسية في الدولة العربية الإسلامية خلال القرنين الأول والثاني بعد الهجرة، القاهرة ١٩٦٠.

خامسا: المراجع الفارسية الحديثة:

٣٧- سعيد نفيسي
محيط زندكى وأحوال وأشعار رودكى (نشأة وتاريخ حياة "الشاعر" الرودكى

محتويات الكتاب